منهج تعديل السلوك من منظور التربية الإسلامية

د/ عمر بن حسن بن إبراهيم الراشدي

الأستاذ المشارك في أصول التربية الإسلامية والمقارنة بقسم الدورات التدريبية بالمعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجامعة أم القرى

المبحث الأول:

خطة الدراسة.

المقـدمة:

الحمد رب العالمين، الرحمن الرحيم، الذي امتن بتوبته على التآئبين وبعفوه عن المذنبين الذين اقلعوا عن الخطأ والذنب، واحسنوا العمل، حيث قال عز من قائل: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ)[١].

والصلاة والسلام على المربي الأول، والنبي المعلم، والرحيم بالأمة، الذي قرر أن الخطأ صفة ملازمة للبشرية، ومع ذلك فإن الخيرية ملازمة لكل من تخلص من أخطائه وأقلع عن ذنوبه، حيث أخبر صلوات ربي وسلامه عليه عن ذلك بقوله: " كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ "[٢]

ولذا فإن الخطأ سيقع ويتكرر من الإنسان ولا مناص من ذلك، وهنا كان لابد من عرض منهج التربية الإسلامية في تعديل السلوك عن طريق خطوات تربوية تعالج الخطأ، وتهتم بالمخطئ تحفظ نفسيته وتحترم شخصيته وكيانه باعتباره إنسان مكرم، يضعف فيقع الخطأ منه، ويتوب وينوب فترتفع درجته عند الله تعالى، وهنا جاءت التربية الإسلامية من خلال مصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بخطوات لتعديل سلوك المخطئ، هذه الخطوات متوافقة مع معرفة الخطأ السلوكي الذي وقع فيه الإنسان، حيث تحدد، ما هو سبب هذا الخطأ ؟، لأنه إذا تم معرفة سبب الخطأ، أمكن تقديم طريقة تربوية تسهم في تعديله بحيث لا يقع من المخطئ مرة أخرى في الغالب، وهذا الأسلوب التربوي في المعالجة قدمته تربيتنا الإسلامية من خلال توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث يقدم الباحث هذه الخطوات بشكل استنباطي من خلال تلمس خطوات النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الأخطاء السلوكية، وتقديمها بشكل علمي يربط بين سبب الخطأ السلوكي و طريقة المعالجة لهذا الخطأ، باعتباره المشرع للأمة والمربي الذي لا ينطق عن الهوى، قال تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)[٣]، وهو الأسوة الحسنة التي يجب أن نتأسى بها في سلوكنا وتربيتنا وطرق معالجتنا للأخطاء، حيث أمرنا بذلك في قوله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[٤]، ومن ثم تحويل هذه الخطوات في المعالجة إلى منهج تربوي لتعديل سلوك المخطئ، ووضع يد التربويين على الخطوات العلمية الصحيحة في تعديل السلوك الخاطئ، وتطبيقه في المؤسسات التربوية، ليكون هو المنهج التربوي والعلمي في التعامل مع المخطئ وتعديل سلوكه الخاطئ من خلال مؤسساتنا التربوية المعنية بتربية المسلم.

و يعتبر المدخل العلاجي الإسلامي و المبنى أساساً على ما يمتاز به من أصالة علمية و ما يمكن أن يسهم في تطوير الممارسة في خدمة الفرد و إثراء مفاهيمها و ما يتوفر لهذا النموذج من

---

[١] - سورة طه، آية ٨٢.

[٢] - محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ج٢، حديث رقم. ٤٥١٥.

[٣] - سورة النجم، آية ٣-٤.

[٤] - سورة الأحزاب، آية ٢١.

لياقة علمية و صدق موضوعي و فاعلية في التعامل مع المشكلات التي تعترض هذه الفئة، أهميته لتعزيز البناء الأساسي للتوجيه في مجتمعنا، و الارتقاء به إلى المستوى المنشود[٥].

مشكلة البحث:

تتمثل في تعدد مشاهدة السلوكيات الخاطئة والحاجة إلى المعالجات السلوكية لتعديلها، من خلال بعض المؤسسات التربوية، سواء الأسرة، أو المدرسة، أو المسجد ـ أو الإعلام، حيث يتم التركيز على الأساليب التربوية في علاج الخطأ، وهو أمر مرغوب، ولكنه قد لا يحقق نتائج إيجابية جذرية لاجتثاث الخطأ، الصادر من المخطئ وذلك لكون الأسلوب الذي تم اختياره لا يناسب سبب الخطأ السلوكي الذي وقع من خلاله الخطأ.

حيث تتنوع أسباب الخطأ، فلا يمكن أن يقع خطأ، إلا نتيجة واحد من أمور ثلاثة خاطئة ناتجة عن:

١ـ غياب المعرفة الصحيحة.

٢ـ مشكلة في القناعات الموجهة لهذه السلوكيات.

٣ـ طريق فقد المهارات المتطلبة لممارسة السلوكيات القويمة.

والخطأ الخطير الذي تقع فيه المؤسسات التربوية هو البدء في تعديل السلوك دون تحديد مسبباته وروده على الإنسان، وهنا تكون المعالجة ظاهرية لا تصل لعمق المشكلة، ولا تناسب نوع الخطأ، فالخلط بين هذه المداخل يؤدي إلى عدم الاستجابة من المخطئ، وتكرار الخطأ مرة أخرى.

لذا تميزت التربية الإسلامية في تعديل السلوك الخاطئ، ومعالجة الأخطاء ؛ لتناسب وتنسجم طريقة المعالجة للمشكلة مع مدخل الخطأ السلوكي، حيث كان منهجه صلى الله عليه وسلم في تعديل سلوك المخطئ تحديد مدخل الخطأ على الإنسان، ثم تكون المعالجة في تعديل السلوك باختيار الطريقة التي تناسب مدخل الخطأ.

وهنا كان لازماً أن نعرض الخطوات التربوية لتعديل السلوك الخاطئ من منظور التربية الإسلامية من خلال تناول مشكلة هذا البحث في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: خطة البحث.

المبحث الثاني: ملامح منهج التربية الإسلامية في ضبط السلوك الإنساني.

المبحث الثالث: الأثر التربوي لحتمية الخطأ في منظور التربية الإسلامية على التعامل مع المخطئ.

المبحث الرابع: العلاقة بين مداخل الخطأ وخطوات تعديل السلوك الخاطئ في التربية الإسلامية.

حيث ـ بإذن الله ـ سيشكل مجموع هذه المباحث رؤية للمؤسسات التربوية في معرفة منهج التربية الإسلامية في معالجة وتعديل السلوك مستنبطاً من كلام من خلق النفس البشرية وسواها وعلم أسرارها وخفاياها، ومن ممارسات وتطبيقات رسول البشرية وهادي الإنسانية ومن بعثه الله

---

(٥) السيد محمد أحمد رمضان : التدخل العلاجي الإسلامي لخدمة الفرد فى محيط معاملة المجرمين، مؤتمر تطوير برامج و خدمات الرعاية الاجتماعية فى ضوء التصور الإسلامي، الجزء الأول، الإسكندرية، فى الفترة من ٥-٧ أغسطس ١٩٩٥، ص٥٠٩.

معلماً للأمة وامتن عليهم ببعثته بقوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)[٦].

أهميـة البحث:

١- يقدم البحث رؤية تربوية مستنبطة من مصدري التربية الإسلامية الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في تحديد مدخل الخطأ قبل البدء في اختيار أسلوب المعالجة.

٢- تتسم هذه الرؤية التربوية في تعديل السلوك الخاطئ بالجدة والأصالة - حسب ما اطلع عليه الباحث - من ممارسات تربوية واقعية، أو ما وقع تحت يديه من أبحاث علمية، مما يعزز أهمية هذه الدراسة.

٣- يسعى الباحث أن تسهم هذه الدراسة في تقديم تصور للمؤسسات والمحاضن التربوية في معرفة المنهج التربوي الإسلامي في تعديل سلوك المخطئ واستقامته بعد ذلك، وضمان عدم عودته في الخطأ ذاته غالباً.

٤- يسهم هذا البحث في مسيرة العمل التأصيلي في الدراسات التربوية، حيث معظم دراسات السلوك الإنساني بصفة عامة، وسلوك المخطئ بصفة خاصة تنطلق من دراسات ونظريات غربية، ومجال التأصيل الإسلامي لدراسة السلوك هو اسهام في بناء النظرية التربوية الإسلامية، وهو أمر بحاجة إلى جهود كبيرة، يأمل البحث أن تسهم هذه الدراسة بلبنة في هذا الباب.

٥- يمكن أن يستفيد من هذا البحث المؤسسات التربوية المختلفة لتطبيقها في تصويب السلوك الخطأ.

٦- يمكن أن يستفيد من هذا البحث أولياء الأمور والمربين بصفة عامة للاسترشاد بها في تصويب السلوكيات الخاطئة.

تسـاؤلات البحث:

السـؤال الرئيس للبحث:

مـا منهج تعديل السلوك من منظور التربية الإسلامية ؟

و تشتق منه الأسئلة الفرعية التاليـة:

س١/ ما ملامح منهج التربية الإسلامية في تعديل السلوك الإنساني ؟.

س٢/ ما الأثر التربوي لحتمية الخطأ في منظور التربية الإسلامية على التعامل مع المخطئ ؟.

س٣/ ما العلاقة بين مداخل الخطأ وخطوات تعديل السلوك في التربية الإسلامية؟.

أهـداف البحث:

الهدف العـام:

استنباط منهج تعديل السلوك من منظور التربية الإسلامية.

---

[٦] - سورة آل عمران، آية ١٦٤.

الأهداف الفرعية المشتقة من الهدف العام والتي تحققها الدراسة:

١. عرض ملامح منهج التربية الإسلامية في تعديل السلوك الإنساني.

٢. بيان الأثر التربوي لحتمية الخطأ في منظور التربية الإسلامية على التعامل مع المخطئ.

٣. ابراز العلاقة بين مداخل الخطأ وخطوات تعديل السلوك في التربية الإسلامية.

منـهـج البحث

:

المنهج الوصفي (الوثائقي) وهو: " الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع - مشكلة البحث -، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابات أسئلة البحث "[٧]، مستخدماً طريقتي الاستنباط والاستقراء في تحقيق ذلك.

وفي ضوء هذا المنهج قام الباحث بما يلي:

١. جمع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية المتعلقة بضبط وتعديل السلوك الخاطئ.

٢. استنباط ملامح منهج التربية الإسلامية في ضبط سلوك المسلم من الانحراف .

٣. إيجاد العلاقة بين حتمية الخطأ في التربية الإسلامية ومدى تأثيرها في حسن التعامل مع المخطئ واحترام انسانيته وتكريمه.

٤. استنباط واستقراء العلاقة بين مداخل الخطأ وخطوات تعديل السلوك من خلال الآيات والأحاديث المتعلقة بتعديل السلوك عند وقوع الخطأ.

حدود البحث:

يقف هذا البحث في حدوده الموضوعية عند نصوص القرآن والسنة المتعلقة بضبط السلوك من الانحراف وتعديله عند وقوع الخطأ، وتفسيرها من مراجعها الأصيلة والمعتمدة.

مصطلحات البحث:

تم تعريفها إجرائيا، بحسب ما يقصده الباحث في البحث ويحقق أهدافه، وليس المراد به هنا تتبع التعريف اللغوي والاصطلاحي، وسيأتي التعريف لغة واصطلاحاً في موقعه من البحث بإذن الله.

تعديل السلوك:

يعرف السلوك الإنساني بأنه: " كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد سواءً كانت ظاهرة أم غير ظاهرة، ويعرفه آخرون بأنه: أي نشاط يصدر عن الإنسان سواءً كان أفعالا يمكن

---

[٧] - صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص ٢٠٦.

ملاحظتها وقياسها كالنشاطات الفسيولوجية والحركية أو نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكر والوساوس وغيرها " [٨].

واستراتيجية تعديل السلوك في البحث: هي استراتيجية تربوية تهدف إلى تغيير السلوك من السلوك السلبي إلى السلوك الإيجابي المرغوب والثبات والاستمرارية على ذلك.

السلوك الخاطئ:

يعرف السلوك الخاطئ إجرائياً في هذا البحث بأنه: الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد ويكون غير مرغوب فيها بناء على محكات أو معايير دينية، أو اجتماعية، أو قانونية منظمة لسلوك الإنسان، أو هو ما يصدر عن الإنسان المسلم من أفعال، أو أقوال تخالف توجيهات الشريعة الإسلامية.

منظور التربية الإسلامية:

يقصد الباحث بمنظور التربية الإسلامية: الرؤية العلمية التربوية لتعديل السلوك وفق مصدري التربية الإسلامية – القرآن والسنة -، والتي من خلالها يمكن دراسة تعديل السلوك دراسة تأصيلية، تثبت أصالة وتميز هذه الرؤية عن أي رؤية تربوية اخرى.

المنهج الإسلامي في تعديل السلوك الخطأ:

هو "عملية بلورة أبعاد التصور الإسلامي للطبيعة البشرية و السنن النفسية و الاجتماعية التي تحكم السلوك البشرى والتنظيمات الاجتماعية ، و كذلك لأسباب المشكلات الفردية و الاجتماعية و استخدم هذا التصور لتفسير الحقائق العلمية الجزئية التي تستند إليها ممارسة المهنة، و كذا لتوجيه المبادئ و القيم المهنية المنظمة في نظريات الممارسة و أساليب التدخل المهني"[٩].

الأبحاث والدراسات السابقة:

١- دراسة هشام سيد عبد المجيد (٢٠٠١)[١٠]: بعنوان مقارنة فعالية كل من التعديل السلوكي المعرفي، والتعديل السلوكي في خدمة الفرد في التقليل من حدة المشكلات السلوكية للأحداث الجانحين. استهدفت هذه الدراسة مقارنة مدى فاعلية برنامج التدخل المهني في إطار التعديل السلوكي والتعديل السلوكي المعرفي للتقليل من المشكلات السلوكية للأحداث الجانحين، وقد استخدم الباحث المنهج التجريبي، واستعان بأدوات منها: المقابلات، والندوات، والبرامج، وأفلام الفيديو التي تناولت موضوعات مرتبطة بمشكلات الأحداث، ومقياس أفكار ومعتقدات الأحداث المنحرفين. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة فعالية برنامج التعديل السلوكي المعرفي في تعديل بعض أفكار ومعتقدات الحدث غير العقلانية بالمقارنة بالبرنامج السلوكي الذي ركز على الأنماط السلوكية للأحداث دون التعامل مع أفكارهم ومعتقداتهم.

---

[٨] - عدنان أحمد الفسفوس، الدليل الإرشادي لمواجهة السلوك العدواني لدى طلبة المدارس، المكتبة الإلكترونية، أطفال الخليج، ط١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م، ص: ٤٩.

([٩]) محمود محمد محمود : دور الخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامي لمواجهة الشعور بالاغتراب لدى الأطفال المودعين بمؤسسات الرعاية الاجتماعية، مؤتمر تطوير برامج و خدمات الرعاية الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي، الإسكندرية، في الفترة من ٥ – ٧ أغسطس ١٩٩٥، ص ١٣١.

([١٠]) هشام سيد عبد المجيد : (مقارنة فعالية كل من التعديل السلوكي المعرفي، والتعديل السلوكي في خدمة الفرد في التقليل من حدة المشكلات السلوكية للأحداث الجانحين) بحث بالمؤتمر العلمي الرابع عشر، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، المجلد الرابع، ٢٠٠١م.

٢-دراسة محمد محمود مصطفى (٢٠٠١)[١١]: بعنوان فعالية برنامج التدخل المهني لطريقة خدمة الجماعة باستخدام نموذج تفاعل العلاج الجماعي المعرفي السلوكي والمساهمة في تعديل السلوك المنحرف. استهدفت هذه الدراسة تصميم برنامج للتدخل المهني في خدمة الجماعة باستخدام نموذج تفاعل العلاج الجماعي المعرفي السلوكي، وقياس مدى تأثيره على السلوك المنحرف لأعضاء جماعة من الأحداث المراهقين، وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التجريبي، واستعان بأدوات: منها المقابلة، والملاحظة، والإنصات الواعي. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة: فعالية البرنامج في تحسين السلوك المنحرف للأحداث، وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية من خلال استخدام برنامج العلاج المعرفي، ومعرفة أثره في تعديل السلوك المنحرف للأحداث، إلا أن الدراسة الحالية تختلف من حيث التخصص، فالدراسة السابقة انطلقت من خلال تخصص خدمة الجماعة، أما الدراسة الحالية فهي تُمارس من خلال تخصص خدمة الفرد.

٣-دراسة **Barrera , Manuel Jr: and others(٢٠٠٢)**[١٢]**:** بعنوان: " التدخل المبكر مشكلات السلوك ". يعتبر السلوك العدواني للطفل وصعوبات القراءة خلال السنوات الأولى من العوامل الخطيرة التي تؤدى إلي المشكلات السلوكية للمراهقين فيما بعد، مثل السلوك الإجرامي والفشل التعليمي وتعاطي المخدرات. هدفت هذه الدراسة لتحديد التدخل الشامل الذي تم تصميمه للتعامل مع هذه المشكلات. تكونت عينة الدراسة من (١١٦) أوربي أمريكي، (١٦٨) أسباني، وذلك باستخدام المقاييس والملاحظة كأدوات الدراسة، وتم التدخل بتدريب الوالدين، ثم تدريب الأبناء للسلوك الاجتماعي وتعلم القراءة. أظهرت النتائج: تحسن في السلوك الاجتماعي للأبناء عن ذي قبل، وتحسن في سلوك المعلم، وسلوك الآباء.

٤-دراسة عماد عبد الله محمد الشريفين (٢٠٠٢) بعنوان (تعديل السُّلوك الإنساني في التربية الإسلامية): هدفت هذه الدراسة إلى التعرُّف إلى تعديل السُّلوك الإنساني من وجهة نظر التربية الإسلامية، بإبراز دورها في مجال تعديل السُّلوك، وكذلك التعرُّف إلى أهداف تعديل السُّلوك في التربية الإسلامية وخصائِصِه، وإبراز الوسائل المستخدمة في تعديل السُّلوك وطرائقه، حيث ذكر الباحث أنَّ دِراسة السُّلوك الإنسانِيّ هامَّة؛ فالسُّلوك مفتاح شخصية الإنسان، وهو لسان حالها والمعبِّر عنها، والكاشف عن مكنوناتها، والنَّاطق بأسرارها؛ لذا كان السُّلوك القويم عنوانًا للشخصية السَّويَّة، والسُّلوك المعتلّ المتذبذب عنوانًا للشخصية العليلة المهْتَرِئة، فدِراسة السُّلوك الإنساني هي دراسة هامَّة؛ لأنَّه الجانِبُ الحقيقيّ لِلإنسان، والانعكاس لمشاعره وانْفِعالاته، واشتركت مع الدراسة الحالية في جانب تعديل السلوك الإنساني، وبيان منهج التربية الإسلامية في تعديل السلوك، وأنها تربية أصيلة في هذا الباب، حيث تميزت بمنهج رباني المصدر، قائم على معرفة خصائص النفس الإنسانية والتعامل مع السلوك الصادر منها وفق رؤية تربوية فريدة في ضبط السلوك الإنساني وتعديله في حال الانحراف، بينما الدراسة السابقة تناولت تعديل السلوك من حيث، مفهوم السُّلوك في التربية الإسلامية، وبيان أهداف وخصائص تعديل السُّلوك، ووسائل تعديل السُّلوك وطرائقه، وعرض المنهج الوقائي للسُّلوك في التربية الإسلامية، ولم تتناول مداخل وخطوات تعديل السلوك وهنا يكمن وجه الاختلاف مع هذه الدراسة.

([١١]) محمد محمود مصطفى : (فعالية برنامج التدخل المهني لطريقة خدمة الجماعة باستخدام نموذج تفاعل العلاج الجماعي المعرفي السلوكي والمساهمة في تعديل السلوك المنحرف) بحث بمجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، العدد العاشر، إبريل ٢٠٠١م.

[12] Barrera , Manual Jr and others : Early Elementary school Intervention to redact problem. A randomized Trail with his panic and non Hispanic children (Netherlands : prevention science , kluwer Academic publishers , vol3(2)Jun 2002)p:83-94.

٥-دراسة أسماء مصطفى السحيمى (٢٠٠٣م)[١٣]: بعنوان الاتجاه المعرفي السلوكي في خدمة الفرد وتعديل أنماط السلوك غير السوى لدى طالبات المدارس الثانوية الفنية. استهدفت هذه الدراسة التحقق من مدى فاعلية برنامج التدخل المهني في إطار الاتجاه المعرفي السلوكي في خدمة الفرد لتعديل السلوكيات غير السوية لطالبات المدارس الثانوية الفنية، وقد استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج التجريبي، واستعانت بأدوات منها: مقياس أنماط السلوك غير السوي، ودليل الملاحظة. وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أنه: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة بعد التدخل المهني لصالح المجموعة التجريبية

٦- دراسة Bohnet , Amym: and others(٢٠٠٤)[١٤]: بعنوان: "التنافس العاطفى والسلوك العدواني بين أطفال المدارس". تم اختبار التنافس العاطفي لـ(٨٧) طفلاً، اختلفت تقارير سلوكهم العدواني لتحديد ما إذا كانت الاختلافات الفردية في التنافس العاطفي يتسم بها الأطفال الشديدى العدوانية. تم تقدير التنافس العاطفي خلال الزيارة التي استغرقت ساعة ونصف وتضمنت فترة ملاحظة تتكون من شكل تخطيطي معدل عن الإحباطات، وتقدير للقدرات الإدراكية واللغوية، متقابلتان شخصيتان حول البناء العاطفي. وأوضحت النتائج: أن العدوان ينتج عن الاحباطات، وينتج عن الأطفال شديدى العدوانية تعبيرات قويه للغضب، واتسم الأطفال شديدى العدوانية بالقدرة الأقل على إدراك الواقع، وتمثل السعادة أهمية كبيرة في الحد من السلوك العدواني لدى الأولاد، كما تؤكد أهمية تقدير التنافس العاطفي لمعرفه أسباب المواقف المثيرة للعاطفة.

٧-دراسة أحمد ضيف الله عنبر الكناني (٢٠٠٩)[١٥] بعنوان (دور الأسرة في وقاية الأبناء من الانحرافات السلوكية من منظور التربية الإسلامية). هدفت إلى وضع تصور مقترح لدور الأسرة في وقاية الأبناء من الانحرافات السلوكية والمتمثلة في عقوق الوالدين والاستخدام السيئ للإنترنت والتقليد الأعمى والاستخدام السيئ لتقنية البلوتوث في الهاتف المحمول، وتم استخدام المنهج الوصفي لوصف بعض مظاهر الانحرافات السلوكية وحصرها وتصنيفها ثم وضع بعض الآليات التي تساعد الأسرة في الوقاية من الانحرافات السلوكية، وكان من **أهم نتائج الدراسة:** إن الاهتمام والعناية بتربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة تقوي جانب الخوف والخشية من الله تعالى، مما يبعد الشباب عن تيار الانحرافات،من آثار الانحرافات السلوكية على الفرد عدم التكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد والشعور بالإحباط واليأس و القلق النفسي، إن دعاء الوالدين على أبنائهم وغياب القدوة الحسنة في الأسرة وقصور الدور التربوي لوسائل الإعلام والمساجد والمدارس ساهمت في إعداد جيلٍ من الأبناء لا يراعي في والديه إلاًّ ولا ذمة، من أبرز مظاهر استخدام الإنترنت السيئة النظر إلى ما حرم الله وبث الأفكار المنحرفة والمتطرفة، إن ظاهرة التقليد السلبي امتدت من كونها مجرد موضة إلى تصرفات منحرفة تمس العقيدة وتتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي وتعود إلى فئات شاذة في مجتمعات غربية دون إدراك من الشباب بثقافة ما يفعلونه، من

---

[١٣] أسماء مصطفى السحيمى : الاتجاه المعرفى السلوكى فى خدمة الفرد وتعديل انماط السلوك غير السوى لدى طالبات المدارس الثانوية الفنية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، ٢٠٠٣م.

[14] Bohnet Amym and others :Emotional competence and Aggressive Behavior In school-Age children (Netherlands : Journal of Abnormal child psychology , kluwer Academic publishers , vol31(1) Feb. 2003) p:79-91.

[١٥] أحمد بن ضيف الله عنبر الكناني: دور الأسرة في وقاية الأبناء من الانحرافات السلوكية من منظور التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٩م.

أكثر مظاهر البلوتوث انتشاراً بين الأبناء تناقل الصور الجنسية ومقاطع الفيديو الإباحية وانتشار المعاكسات والمضايقات بين الشباب والفتيات.

٨- دراسة فواز مبيرك حماد الصعيدي (٢٠٠٩): بعنوان: الأساليب التربوية النبوية المتعبة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها لدى طلاب المرحلة الثانوية بنين " تصور مقترح ". هدفت الدراسة إلى: مساعدة صُنَّاع القرار التربوي على بلورة فكرة التطبيق الفعلي للأساليب النبوية في التوجيه وتعديل السلوك بالمرحلة الثانوية " بنين "، التعرف على دور برامج التوجيه وتعديل السلوك بالمرحلة الثانوية " بنين "، التعرف على الأساليب النبوية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في توجيه وتعديل سلوك بعض الصحابة، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي مع استخدام طريقة الاستنباط من الأحاديث النبوية، وكان من أهم نتائج الدراسة: إن الهدف الأسمى من أهداف الإرشاد والتوجيه في مدارسنا الثانوية هو توجيه الطالب إلى المنهج الرباني، يعمل التوجيه والإرشاد الطلابي على مساعدة الطالب لأداء دوره في مجتمعه بتوافق وانسجام، إن البرامج الإرشادية تحتل مساحة واسعة من عمل المرشد الطلابي، فهي السبيل الأمثل لتنظيم عمل المرشد الطلابي، إن إشباع الحاجات النفسية لطلاب المرحلة الثانوية والتعامل معهم وفق مطالب النمو والتغيرات التي تمر بهم يعزز الجوانب الإيجابيـة عندهم، ويساهم في تحقيق الصحة النفسية لديهم، مساهمة أساليب التربية النبوية في تنمية الجانب النفسي لشخصية الطالب المسلم بالمرحلة الثانوية.

التعليق على الدراسات السابقة:

يتضح من العرض السابق تنوع الدراسات التي اهتمت بتعديل السلوك الخاطئ أو المنحرف بيد أن معظمها كان يركز على مداخل علاجية مختلفة عن المدخل الذي تركز عليه الدراسة الحالية ما عدا دراسة فواز مبيرك (٢٠٠٩) ودراسة عماد عبد الله الشريفين (٢٠٠٢) أما بقية الدراسات فمعظمها ركز على جانب الخدمة الاجتماعية أو الوجهة النفسية في تعديل السلوك الإنساني أو دور الأسرة في الوقاية من الانحرافات السلوكية، ومن هنا تبرز أهمية الدراسة الحالية والحاجة إليها لإبراز معالم المنهج الإسلامي في تعديل السلوك الخاطئ، ورغم ذلك أفادت الدراسة الحالية من هذه الدراسات في جوانب عديدة أبرزها التأصيل لبعض المفاهيم النظرية.

المبحث الثاني: منهج التربية الإسلامية في تعديل السلوك الإنساني.

أولاً: مفهوم ضبط السلوك:

يعرف السلوك في علم النفس بأنه: " كل ما يصدر عن الفرد من نشاط ظاهر كالكلام او المشي، او نشاط باطن كالتفكير والتذكر والشعور بالانفعال"[١٦]، ويعرفه احمد عزت بانه " كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة ازاء موقف يواجهه "[١٧].

ويعرف بأنه: " ذلك النشاط الذي يقوم به الكائن الحي نتيجة لعلاقتـه بظروف بيئية معينة، حيث يحاول باستمرار التطوير والتعديل في هذه الظروف، حتى يتحقق له البقاء وإشباع حاجاته، وهو سلسلة من الاختيارات بين مجموعة من الاستجابات الممكنة " [١٨]، ويعرف السلوك أيضاً بأنه:

---

[١٦] - حامد عبد السلام زهران، قاموس علم النفس، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ٧٤.

[١٧] - احمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة ١١، ١٩٩٩م، ص ٢١.

[١٨] - محمد عبد الغني حسن هلال، مهارات إدارة السلوك الإنساني، متطلبات التحديث المستمر للسلوك، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، ط٢ ،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ٨.

" أي نشاط يصدر من الإنسان سواء كان أفعالاً يمكن ملاحظتها وقياسها، كالنشاطات الفسيولوجية والحركية، أو نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتفكير والتذكر والتحليل وغير ذلك "[١٩].

وعلى ضوء ما سبق يمكن يعرف الباحث السلوك الخاطئ بأنه: هو النشاط الملحوظ دائماً الصادر من الإنسان نتيجة استجابة لمثير، أو اندفاع نحو رغبة، ويكون وفق المحكات الشرعية، أو النظامية، أو العرفية، سلوكاً مرفوضاً، وغير مقبول، يترتب عليه إثم شرعاً، أو عقوبة نظاماً، أو مخالفة لواقع اجتماعي عرفاً.

والمراد بمنهج التربية الإسلامية في ضبط السلوك: هو التشريعات والتوجيهات والإرشادات والأحكام المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية واستنباطات الفقهاء والتي تشكل إطاراً واضحاً وصريحاً يمنع المسلم من ممارسة سلوك غير مرغوب فيه شرعاً، أو يستوجب عقوبة نظاماً، أو مخالفة واقع اجتماعي لا يتعارض مع الشرع عرفاً، بحيث تكون حاضرة في شعور المسلم تعمل كجانب وقائي يحمي سلوكه من الانحراف والزلل.

ثانياً: الجانب الوقائي لضبط السلوك في التربية الإسلامية :

لقد أحاطت التربية الإسلامية المسلم بسياج من التوجيهات والإرشادات والأحكام التي تحمي سلوكه الصحيح من الخطأ، وفطرته السوية من الانحراف، فالضبط الوقائي للسلوك يعني: " صيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحراف، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية، عن طريق أخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تمنع من التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال، ليظل الفرد على الصراط المستقيم، مهتدياً للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب حياته "[٢٠]، حيث تعتبر كل "الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من أجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية ليكون المجتمع طاهراً بعيداً عن كل مواطن الفساد والانحلال الخلقي "٢١، هي من جملة المظاهر والوسائل والطرق الوقائية لضبط السلوك في التربية الإسلامية، الذي تقدمه التربية الإسلامية على الجانب العلاجي لتعديل السلوك بعد الخطأ.

حيث تميزت التربية الإسلامية بالشمول في ضبط سلوك المسلم ورعايته، قال الله تعالى: (مّا فَرّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [٢٢]، وقال تعالى:(وَنَزّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لّكُلّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىَ لِلْمُسْلِمِين) [٢٣]، وعن أبي ذر - ضي الله عنه - قال: " لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً) [٢٤]،"فتستمد التربية الإسلامية شموليتها من

---

[١٩] - ـ الإدارة العامة للتوجيه والإرشاد بوزارة التربية والتعليم، دليل التربويين لرعاية السلوك وتقويمه، الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١١.

[٢٠] - خليل بن عبد الله الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، رسالة ماجستير منشورة، ص ٤٧-٤٨.

٢١ - حسين، أحمد ضياء الدين. أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢.

[٢٢] - سورة الأنعام، آية ٣٨.

[٢٣] - سورة النحل، آية ٨٩.

[٢٤] - أحمد بن حنبل، المسند، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٠٨٥٤ (ترقيم إحياء التراث).

شمولية هذا الدين، فإن الإنسان المسلم يجد فيه الحلول الشافية لمشكلاته، وسبل الوقاية منها حماية لسلوكه "[٢٥].

التدابير الوقائية لحماية وضبط السلوك في التربية الإسلامية:

جاءت التربية الإسلامية بجملة من التدابير الوقائية لحماية وضبط سلوك المسلم من الانحراف، تعمل بشكل وقائي لحماية السلوك من الوقوع في الخطاء، وتحافظ على فطرته من الانحراف، وبالتالي فإن هذه المبحث يناقش أربع خطوات عامة للمنهج الوقائي، جاءت بها التربية الإسلامية في شكل تدابير ضابطة للسلوك من الوقوع في الخطأ، وحامية له من الانحراف وهي كالتالي:

أ- بناء الأسرة:

الأسرة هي خط الوقاية الأول لحماية سلوك الطفل من الانحراف، وضبطه عن الخطأ، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بوعي الوالدين لهذا الدور، وتحمل مسؤوليتهما للقيام به خير قيام، ولذا جاءت التربية الإسلامية، بالتوجيه على حسن اختيار الزوجة، من حيث الحظ على انكاح ذات الدين، وتخير الإنسان لموضع حرثه، باعتبار أثر الوراثة على نجابة الولد، فالعرق دساس، فإن " الأسرة هي التي تُحدد شخصية المولود، ولذا اهتم الإسلامُ بصحة الكيان الأسري، فاختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، التي تستطيع تحمُّل المسؤولية وتربية الأبناء، وبالمقابل حث الإسلامُ وليَّ الفتاة أنْ يزوج بنته لمن يرتضي من أصحاب الخلق والدين، حيث أن إهمالُ الأسرة لتربية أبنائها يجر عواقبَ وخيمة على المجتمع بأسره؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كفى بالمرء إثمًا أنْ يضيع من يعول "[٢٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها " [٢٧]، والرعاية تعني المحافظة على سلوك الأبناء وتوجيههم الوجهة السليمة، واختيار الرفقة الطيبة، والمتابعة المستمرة، فإن الإهمال يفتح المجال أمام الأبناء إلى التفكير بلا ضابط، مع عدم القدرة على إدراك المصلحة، مما يجعلهم ينساقون بسهولة نحو الانحراف، وما يتبعه من سلوكيات خطيرة. كما أن من حرص الإسلام على تماسك الأسرة، وحماية الأبناء ووقاية سلوكهم من الانحرافات نَفَّر من الطلاق، وجعله أبغضَ الحلال، وآخر الحلول، كل ذلك للمحافظة على سلامة بناء الأسرة، لتحقيق الغايات المثلى في الوقاية للفرد والمجتمع.

حيث وضعت التربية الإسلامية للوالدين نظرية متكاملة في تربية الطفل ووقايته من الانحراف، أساسها مكارم الأخلاق، فمنذ لحظة الميلاد سَنَّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أن نُؤذِّن في أذن المولود اليُمنى، وأنْ نُقيم الصلاةَ في أذنه اليُسرى - حتى لا يضره شيطان -، ثم يختار الأب أحسنَ الأسماء للمولود، فإذا ما بلغ الطِّفل سبعَ سنوات، أمره بالصلاة والمحافظة عليها، ويعاقب على التفريط فيها، ثم حَثَّ الإسلام على مصادقة الأبناء ومصاحبتهم في سنِّ المراهقة، ودعا للمساواة بين الأولاد؛ حتَّى لا يشعر أحدهم بالظُّلم، فيكون سببًا لانحرافه، وأمر الوالدين بتفريق الإناث عن الذُّكور في المضاجع، كل ذلك من حرص التربية الإسلامية على سلامة الأبناء

---

[٢٥] - سليمان بن قاسم العيد ، سبل وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، بحث منشور، ص ١٤.

[٢٦] - محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، لبنان، بيروت، م ١٩٩٨، (د. ت)، حديث رقم ٣٥٢٥.

[27] - احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، (د. ت)، حديث رقم، ٢٤١٩.

من دواعي الانحراف ومُسبباته، باستخدام مبدأ ضبط السلوك من الانحراف، ووقايته من الزلل "[٢٨].

وبهذا تكون التربية الإسلامية بالتوجيهات والإرشادات الخاصة بحسن تكوين الأسرة وسلامة بنائها، وتحديد مسؤولياتها، قد أحاطت الأبناء بسياجٍ واقٍ لحماية سلوكهم من الانحراف، وضبطه من الوقوع في الخطأ.

ب – تعلم الآداب والالتزام بها:

إن الإسلام دين يقوم على الخلق العظيم والأدب الكريم، ويجعل ذلك من صميم رسالته، بل هو قوامها وعنوانها وثمرتها، وكل العبادات في الإسلام تلتقي عند هذه الغاية فقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم مهمة رسالته في قوله الكريم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٢٩].

وكان صلى الله عليه وسلم ولا يزال، المثل الأعلى في ذلك، وحسبه قول ربه له: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٣٠]، كما رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كمال الإيمان على حسن الخلق وتمام الأدب فقال: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً "[٣١]

والآداب التي شرعها الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، آداب شاملة وعامة، آداب في الأكل، وآداب في الشرب، وآداب في اللباس والنوم، وآداب في معاملة الناس وآداب في كل شؤون الحياة، وتمثل هذه الآداب الإسلامية في شتى نواحي الحياة، حضارة رائعة، لأنها شرعت لترتقي بالحياة الإنسانية إلى أعلى مراتب الكمال الخلقي والنفسي والاجتماعي، مشتملة على الولاء والإخاء والمحبة والتعاون على البر والتقوى، تحت نور الإسلام وهداه، قال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٣٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٣٣].

يقول حسن أيوب: " كم يعاني المجتمع المسلم من سلوكيات ظاهرة بحاجة إلى تقويم وتعديل، وما كان لهذه السلوكيات أن تظهر إلا لغياب تعليم الآداب للأفراد بإهمال الأسر والمجتمعات، وعلى هذا يجب على الذين يهملون أو يتهاونون بتعليم الآداب الإسلامية أن يتحملوا تبعات ضياع الأفراد والمجتمعات "[٣٤]

---

٢٨ عزيزة عبدالعظيم عباس، انحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة ،موقع الألوكة، رابط الموضوع:/http://www.alukah.net/publications_competitions ، بتصرف

[٢٩] - محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد للبخاري، مكتبة الدليل، ١٤١٤هـ، ط١، ج١، ص ٧٥.

[٣٠] - سورة القلم، آية ٤.

[٣١] - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية ،وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث حسن صحيح برقم ٢٨٤

[٣٢] - سورة التوبة، آية ٧١.

[٣٣] - يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الخير، ١٤١٦هـ، تحقيق وهبة الزحيلي، حديث رقم ٤٦٩١.

[٣٤] - حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ط١، ص ٥٢

إن الآداب التي شرعها الإسلام كثيرة تنتظم كل شؤون الحياة " وقد أمر الإسلام أن يعلم الطفل ويلقن هذه الآداب ويتعود عليها من صغره، وتصبح مخالفة هذه الآداب سلوكاً غير سوي يحتاج إلى تعديل، ولذا كان تشريع هذه الآداب هي دعوة للسلوك السوي القويم، ومنهج وقائي للابتعاد عن السلوك غير السوي ؛ لأن الآداب تحل بالفضائل، وتخل عن الرذائل، وقرب من الكمالات، وبعد عن النقائص حتى يكون الإنسان في جميع أطواره وأحواله فاضلاً لا يصدر عنه إلا كل طيب ولا يقع منه خبيث.[٣٥]

ولذا فإن تعلم الآداب والالتزام بها تعمل كضابط لسلوك المسلم من الانحراف، وترسم له سلوك الطريق السوي، وتسمو بأخلاقه، وتهذب تصرفاته، وتعمل كمحددات وقائية تجعل له حدود لا يمكن له تجاوزها، فحينما يقول الله عز وجل للمؤمن والمؤمنة: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٣٦].

هذه جملة من الآداب فيما يتعلق بغض البصر، وحفظ الفروج، والابتعاد من قبل المسلمة بكل ما يثير الشهوات و يحرك الغرائز، وهنا لا تعمل هذه الآداب في واقع المسلم والمسلمة مجرد آداب لجماليات الذوق، وحسن الاتيكيت، بل هي آداب تتحول إلى واجبات العمل بها عبادة يثيب عليها الشارع، وتركها انحراف يعاقب عليه الشارع، وبهذا تصبح هذه الآداب منهج وقائي لسلوك المسلم من الانحراف والانفلات.

ج – تنمية الدوافع نحو السلوك الصواب:

قبل الانطلاق في بيان دور الدوافع في التربية الإسلامية كمحرك للسلوك، ودافع له نحو الخير والشر، وكيف حينما يتم تربيتها تعمل كجانب وقائي لسلوك المسلم من الانحراف، قبل هذا كله يجب أن نحدد تعريف الدوافع، وبيان ما المراد بكلمة دافع في التربية الإسلامية.

تعرف الدوافع بأنها: "القوى المحركة التي تبعث النشاط في الكائن الحي، وتبدي السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينه "[٣٧]، وقيل الدوافع هي: " قوة نفسية أو جسمية داخلية، وهي قوة فطرية أو مكتسبة، تثير السلوك وتحدد نوعيته واتجاهه، وتسير به نحو تحقيق أهداف معينه، من شأنها إرضاء جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية " [٣٨]، ومثال ذلك عندما يشعر الفرد بالجوع ؛ فإنه لا يهدأ إلا إذا أكل وشعر بالشبع، فالشعور بالجوع هو الدافع، والأكل هو السلوك الذي حركه ذلك الدافع، والشبع إرضاء للدافع، فالدافع في هذا المثال إذاً يدل على حالة داخلية فطرية. [٣٩]، وعرفت الدوافع بأنها: " مفهوم فرضي يدل على حالة الإثارة الملحة الناتجة عن وجود

---

[٣٥] - عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية ،رسالة ما جستير منشورة ،جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢ه -٢٠٠٢م ،ص١٤٢-١٤٣.

[٣٦] - سورة النور، آية ٣٠-٣١.

[٣٧] - محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص ٢٧.

[٣٨] - السمالوطي : الإسلام وقضايا النفس الحديث، ص ٩٠.

[٣٩] - عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، ص ١٤٨.

نقص فيسيولوجي، أو نفسي – حاجة – تدفع الكائن إلى النشاط وبذل الجهد، حتى يسد النقص ويشبع الحاجة فينخفض التوتر ويعود الاتزان الداخلي"[٤٠]

وهذا يجعلنا نشير إلى أن الدوافع تنقسم إلى قسمين: الدوافع الفطرية وهي الاستعدادات التي يولد الإنسان مزوداً بها، ولم يكتسبها عن طريق البيئة بالتعلم والتدريب، مثل دافع الجوع، ودافع العطش، ودافع التدين، وغيرها.

والقسم الثاني: الدوافع المكتسبة وهي الدوافع التي ليس أساس بيولوجي معروف، وإنما حاجات يتعلمها الإنسان من البيئة والمجتمع، منها الدوافع النفسية مثل الدافع إلى الأمن، والدافع إلى حب الاستطلاع، والدافع إلى اثبات الذات، ومنها الدوافع الاجتماعية، مثل دافع الحب، والتقدير، والانتماء.

والتربية الإسلامية جاءت بإقرار الدوافع، وأن السلوك سلوك مدفوع، فكل عمل يقوم به الإنسان له أهداف ومقاصد، قد لا يمكن ملاحظتها والاطلاع عليها، جاء في الحديث، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. ... "[٤١]، فالنية في الحديث ليست هي الدافع، وإنما الدافع هو الحاجة التي تبعث هذه النية، فالنية جزء من السلوك، أو هي بداية السلوك، والدافع هو الحاجة التي أثارت تلك النية ودفعت إلى التفكير في العمل أو الاتجاه إلى فعله.[٤٢]

وبعد هذه الإيضاح لمفهوم الدوافع، نورد كيف أن تنمية الدوافع في التربية الإسلامية تعمل كموجهات لسلوك المسلم تحقق الوقاية له من الانحراف، وتضبط سلوكياته من الزلل.

جاءت التربية الإسلامية بالدعوة إلى التوازن في إشباع الدوافع، فلا إفراط ولا تفريط، فهي دعوة وسط، تنظم الدوافع وتنميها ولا تطلقها، وتحفظها وتسيطر عليها ولا تكبتها، حيث جاء عند البخاري في حديث الثلاثة رهط الذين سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها - أي عدوها قليلة-، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إني لأخشاكم لله واتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[٤٣].

إن المتأمل في هذا الحديث يظهر له منهج التربية الإسلامية، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر حاجات الناس ولم يكبتها، وإنما رسم طريقاً معتدلاً لإشباعها، فالزواج يشبع دافع الجنس بالحلال، وترك الزواج هو كبت للحاجات وتدمير للدوافع، وتعطيل لسلوك التناسل بالطرق المشروعة.

وهكذا الأمر مع باقي الدوافع، أقرها الإسلام، ثم نظمها ورباها، ومن ذلك دافع الجوع، حيث أقر القرآن الكريم حاجة الإنسان إلى الأكل والشرب، فقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ

---

[٤٠] - محمد عودة محمد، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار القلم، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٦٨.

[٤١] - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٤١٤ه، ج ٦، حديث رقم ٦٥٥٣.

[٤٢] - عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، ص ١٤٩.

[٤٣] - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٤١٤ه، ج ٥، حديث رقم ٤٧٧٦.

مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [٤٤]

في هذه الآيات يقر الإسلام حاجة الإنسان إلى الأكل والشرب، ولكن ينظم هذه الدوافع بنفس الوقت ويربيها بحيث لا يقع انحراف في سلوك المسلم في أكله وشربه، (وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)، وهو تربية على قاعدة الاعتدال في تلبية احتياج الأكل والشرب دون إسراف في الأكل والشرب، ودون تقتير على الأسرة في الإنفاق بحيث يحرمها حقها في تلبية هذا الاحتياج، قال تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)[٤٥]، وبهذا العرض يظهر بوضوح منهج التربية الإسلامية في تربية وتنمية الدوافع لتقوم بدورها في حماية ووقاية سلوك المسلم من الانحراف.

د – المحاسبة (المراقبة الذاتية ومراعاة الضمير الإنساني):

المحاسبة هو شعور من المسلم بمراقبة الله تعالى له، وأنه يراه، مطلع على أعماله، وأنه سيحاسبه عليها، وأن كل أفعال وأقول العبد محاسب عليها مجزي بها، إن كان سلوكاً إيجابياً وفق محكات الشريعة فجزاءه النعيم المقيم من الله سبحانه وتعالى، وإن كان سلوكه غير مقبول وفق محكات الشريعة فهو معاقب عليه، والجزاء نار جهنم.

يقول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[٤٦]، هذه الآية تعدُّ أصلاً في باب محاسبة النفس ومعاتبتها، بل تدل هذه الآية على وجوب محاسبة النفس ومعاتبتها ولومها على تقصيرها وتفريطها في جنب الله، وتذكيرها بيوم لقاء الله والوقوف بين يديه سبحانه، وذلك واضح في قوله: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، والله جل وعلا قرَّب هذا اليوم وأخبر عن دنو مجيئه فوصفه بهذه الصفة قال: (مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، فيوم غد قريب، ويوم القيامة آت لا محالة، والعبد واقف بين يدي الله ولا بد، والله جل وعلا محاسبه وسائله عما قدم في هذه الحياة، فكان من الخير للإنسان أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وأن يزنها قبل أن يوزن وأن يهيئها للعرض على الله جل وعلا.

يقول ابن كثير – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية: " أي حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتُم لأنفسِكم من الأعمالِ الصالحةِ ليومِ معادِكم وعرضِكم على ربِكم، واعلموا أنه عالمٌ بجميعِ أعمالِكم وأحوالِكم، لا تخفى عليهِ منكم خافيه)[٤٧]

ولقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – الذين تربوا في مدرسة النبوة يستشعرون هذه المحاسبة، ويحاسبون أنفسهم، ويوصون غيرهم، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: " حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا، أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ

---

[٤٤] - سورة الأعراف، آية ٣١-٣٢.

[٤٥] - سورة الإسراء، آية ٢٩.

[٤٦] - سورة الحشر، آية ١٨.

[٤٧] - اسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٠ه، ج٨، ص ١٠٦.

خَافِيَةٌ "[٤٨]، كما الف السلف في هذا الباب الكتب، استشعاراً لأهمية تربية النفس على المحاسبة لضبط سلوكها، وتهذيب أخلاقها، والسير وفق مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن النفس الإنسانية هي مصدر السلوك الإيجابي والسلبي وفق أنواع النفس (اللوامة الأمارة بالسوء، المطمئنة)، وهي مسؤولة عنه وفق حدود طاقتها، فقد أودع الله فيها وألهما معرفة الخير والشر، قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)[٤٩]، فمن زكى نفسه بالعمل الصالح والسلوك الإيجابي الذي يرضي الله سبحانه وتعالى فهذا قد سلك طريق الفلاح، ومن دساها بالذنوب والسلوك المنحرف الذي لايرضاه الله سبحانه وتعالى فقد خاب وخسر.

" إن السلوك الإيجابي والسلبي يصدران عن النفس الإنسانية، فلا يصدر السلوك الإيجابي المرغوب فيه إلا عن نفس مؤمنة بعيدة عن الآفات وأسباب الانحراف، أما السلوك السلبي فلا يصدر إلا عن نفس مريضة بالذنوب مليئة بالآفات،. ..ولما كان هذا حال النفس، كانت محاسبتها من الأساليب الوقائية التي تمنع ارتكاب السلوك المخالف أو الاستمرار فيه ؛ لذا يجب ضبطها ومجاهدتها للوصول للسلوك القويم الذي لا يصدر إلا عن نفس آمنة مطمئنة بعيدة عن الاضطراب والقلق، حيث تثمر محاسبة النفس الشعور بالمسؤولية من المسلم تجاه الله سبحانه وتعالى، وتجاه الخلق، فلا يصدر منه سلوك إلا بما يرضي الله سبحانه وتعالى، ولا يضر بالخلق ويعتدي على حقوقهم ومصالحهم "[٥٠]، يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – " " وتركُ المحاسبة والاسترسالُ وتسهيلُ الأمورِ وتمشيتُـها، فإنَّ هذا يقودُ بهِ إلى الهلاكِ، وهذه حالُ أهلِ الغرور، يُغْمضُ عينيهِ عن العواقبِ ويُمَشّي الحال، ويتكلُ على العفو، فيهملُ محاسبة نفسهِ والنظرُ في العاقبة، وإذا فعلَ ذلكَ سَهُلَ عليه مواقعةُ الذنوبِ وأنِسَ بها وعَسُرَ عليه فِطامُها ولو حَضَرَه رُشْدَه لعلِم أنّ الحميةَ أسهلُ من الفِطام وتركُ المألوف والمعتاد "[٥١]

وبعد هذا الاستعراض للمحاسبة، يتضح كيف أن تربية النفس وفق مبدأ المحاسبة، وترويضها وفق مراد الله سبحانه وتعالى، يجعل المسلم في مجاهدة مستمرة لمراقبة سلوكه وضبطه من الانحراف، ويحقق وقاية للنفس عن مقارفة ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وهذه تربية ذاتية للنفس في مراقبة السلوك بصفة مستمرة، يحبه الله ويرضاه، ويعين المسلم المجاهد لنفسه بالمحاسبة ولسلوكه بالمراقبة على بلوغ مناه، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ)[٥٢]، فبلوغ المسلم درجة الإحسان حافز لها على بذل كثير من المجاهدة دون انقطاع، للسيطرة على السلوك، فلا يكون منه إلا ما يوافق الشرع وينقاد معه.

المبحث الثالث: الأثر التربوي لحتمية وقوع الإنسان في الخطأ في منظور التربية الإسلامية.

يقصد بحتمية الخطأ في هذا البحث: أن الخطأ جبلة بشرية، وقعت من أبو البشر آدم عليه السلام، وتوارثها أبنائه من بعده، ولا يكاد يسلم منه أحد، فالخطأ ليس " مشروعًا بذاته، ولكنه معتبر

---

[٤٨] - عبد الله بن محمد عبيد البغدادي ابن أبي الدنيا، محاسبة النفس والإزراء عليها، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ، ط١، ص ٢٢.

[٤٩] - سورة الشمس، آية ٧-١٠.

[٥٠] - عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، ص ١٥٦- ١٥٨، بتصرف.

[٥١] - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق : محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج١، ص١٤٥.

[٥٢] - سورة العنكبوت، آية ٦٩.

في الشريعة الإسلامية، فالله سبحانه وتعالى وضع كثيرًا من الأحكام والقضايا التي هي مبنية على ما علمه من البشر من أن الخطأ جزء من تكوينهم، وأنه من الضرورة أن يقع ؛ سواء أكان هذا الخطأ خطأ فرد، أو خطأ جماعة، أو خطأ مجتمع.

ولذلك شرع الله -سبحانه وتعالى- التوبة، والاستغفار، والتكفير، والكفارات المعروفة في الشريعة وأحكام كثيرة، كما أن الحدود مبنية على حصول الخطأ وأن الله تعالى علم أن البشر بحكم جبلتهم وتكوينهم يخطئون، يقول الله تعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)[٥٣]، وأن هذا المفهوم المعتدل للخطأ مهم جدًا حتى لا يبالغ الناس في الطهرانية والملائكية وتصور استبعاد الخطأ، وألا يقعوا أسرى للجبرية والقدرية والاعتذار والتعلل بالقدر والحتمية عن عدم التصحيح، وهذا يصنع التوازن للإنسان"[٥٤].

ثانياً: قاعدة تربوية: الخطأ صفة في الجبلة البشرية إلا من عصمه الله.

الخطأ صفة ملازمة للبشر لا ينجو منه أحد إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: " كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[٥٥].

ولو نجا من الخطأ أحد لنجا منه الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين هم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"[٥٦].

وهنا يجب أن تستقر قاعدة في أذهان المربين في التعامل مع أخطاء البشر، وهي أن الخطأ صفة في الجبلة البشرية إلا من عصمه الله، حيث قرر علماء الأمة هذه القاعدة وتعاملوا مع أخطاء البشر على أساسها، يقول الإمام الترمذي – رحمه الله تعالى: "وإنما تفاضل أهل العلم بالحفظ والإتقان، والتثبت عند السماع مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم"[٥٧].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله – في تقرير هذه القاعدة: "ليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأ مغفوراً لهم، بل ليس من شرطهم ترك الصغائر مطلقاً، بل ليس من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه توبة"[٥٨].

ويضيف ابن القيم – رحمه الله تعالى – جانباً في تقرير هذه القاعدة من حيث ضعف النفس الإنسانية، وأن من صفاتها، الظلم والجهل، وذلك من قول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

---

[٥٣] - سورة طه، آية ١٢١-١٢٢.

[٥٤] - سلمان بن فهد العودة، متابعات وحوارت، موقع سلمان العودة، http://www.islamtoday.net/salman/artshow-78-136532.htm.

[٥٥] - محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ج٢، حديث رقم. ٤٥١٥.

[٥٦] - مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦م، ج٤، بترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي، حديث رقم ٢٧٤٩.

[٥٧] - حمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، كتاب العلل الصغير، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ج٥، ص٧٤٧ – ٧٤٨.

[٥٨] - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج١١، ص٦٦-٦٧.

)[٥٩]، حيث يقول رحمه الله: "وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عدت غلطاته أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته"[٦٠].

وبناء على ما تقدم تتقرر قاعدة في معرفة الجبلة البشرية، وأن الإنسان يندر أن يسلم من الخطأ، ولذا فتح الله له باب التوبة والرجوع، وأعد الله له النعيم المقيم لمن تاب وأناب، وبهذا فكل من كان سلوكه خاطئاً، فأمامه فرصة التوبة لتعديل السلوك الخاطئ.

ثالثاً: الدروس التربوية المستفادة من حتمية الخطأ.

هنا دروس تربوية في غاية الروعة في التعامل مع الخطأ، وحفظ كرامة ورحمة المخطئ الذي وقع منه الخطأ، يمكن تقريرها على ضوء قاعدة: الخطأ صفة في الجبلة البشرية إلا من رحمه الله، يمكن إيراد هذه الدروس التربوية باختصار على النحو التالي:

١- من الأقوال المأثورة والمؤثرة، تلك الحكمة القائلة: " العقول العظيمة تُناقش الأفكار، والعقول المتوسطة تُناقش الأحداث، والعقول التافهة تُناقش الأشخاص"[٦١]، ويعني ذلك أنه حال حصول الخطأ من المخطئ، وأنت تعرف قاعدة حتمية الخطأ في الجبلة البشرية، "يجب على المربي أن يفرق بين الخطأ والمخطئ، "فعندما يقع طفلك في خطأ، فلا تقل له: "إني أكرهك" فهذه عبارة مدمرة للطفل تسلبه أهم شيء وهو الأمن النفسي المتمثل في حب الوالدين، ولكن خاطبه بقولك: " إني أكره تصرفك الفلاني" فيكون حديثك وتوجيهك ووصف الكراهية محدداً مقيداً منصباً على قوله الخاطئ أو فعله وليس على شخصية الطفل نفسه، وهو يعني ضرورة الفصل والتمييز بين رفضنا للقول، مع تقديرنا للقائل "[٦٢]، وهذا الدرس التربوي يستلزم من المربي أن يغضب للخطأ، وينقد الخطأ، ويرحم المخطئ ويحترم إنسانيته المكرمة، فقد يكون وقع الخطأ منه نسياناً، أو جهلاً، أو نتيجة نقص الخبرة التي لم يمر بها من قبل.

وفي الحديث الثابت عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَلَعَنَ شَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا "[٦٣]، فهنا لعن عليه الصلاة والسلام شارب الخمر مطلقاً، وهذا بلا شك ذم وتجريم لهذا الفعل، ولكنه عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح آخر لما أوتي برجل شرب الخمر فأمر بجلده الحد، قال أحد الصحابة رضوان الله عليهم: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال عليه الصلاة والسلام: " لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله "[٦٤]، فنهى عن لعن الشخص بعينه مع كونه ارتكب كبيرة ملعون مقترفها.

وقد أدرك ابن تيمية رحمه الله هذا الفرق القائم على الفصل والتمييز بين مشروعية لعن الفعل بصورة عامة، والنهي عن لعن الفاعل المعين، فقال: "فنهى عن لعن هذا المعين المدمن الذي

---

[٥٩] - سورة الأحزاب، آية ٧٢.

[٦٠] - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ج٢، ص٥٢٢.

[٦١] - وصال حمقه، جواهر العقول، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١١م، ص١٨٢.

[٦٢] - خالد منصور الدريس، نقد وتقدير القائل، مقال في شبكة صيد الفوائد، ص١، http://www.saaid.net/aldawah/500.htm?print_it=1.

[٦٣] - محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ، ج١، ص ٢٥٣.

[٦٤] - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٤١٤ه، ج ٦، حديث رقم ٢٤٨٩.

يشرب الخمر، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله، مع لعنه شارب الخمر عموماً، فعُلم الفرق بين العام المطلق، والخاص المعين".[٦٥]

٢- لا توبة إلا من خطأ، هذا الدرس من اعظم الدروس المستنبطة من معرفتنا بأن الخطأ صفة بشرية، الأمر الذي يتطلب من المربي أن يعطي المخطئ فرصة للتوبة من خطئه، فحينما يعرف الإنسان أنه وقع في الخطأ، فليس أمامه إلا أن يتوب منه ويقلع عنه،أو يصر عليه ويستمر فيه،فالموقف الأول يبرر أنه وقع منه الخطأ دون قصد وأقلع عنه، والثاني يعني أن الخطأ وقع تحت القصد والعمد ويجب أن يعاقب عليه.

وإعطاء المخطئ فرصة لإظهار توبته، هو دعوة له لتعديل سلوكه الخاطئ إلى سلوك سوي يثاب عليه فاعله، ويحمد له ذلك، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ).[٦٦]

يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "وقوله (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) أي: تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب ولم يستمروا على المعصية ويصروا مقلعين عنها ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه.

يقول ابن رجب الحنبلي: " قال عمر بن عبد العزيز: أيها الناس مَن ألمَّ بذنبٍ فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك في الإصرار عليها، ومعنى هذا: أن العبد لا بد أن يفعل ما قدِّر عليه من الذنوب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: كُتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة. .. " ولكن الله جعل للعبد مخرجاً مما وقع فيه من الذنوب، ومحاه بالتوبة والاستغفار، فإن فعل فقد تخلص من شر الذنوب، وإن أصر على الذنب هلك "[٦٧].

وهنا يجب أن يتقرر في أذهان المربين أن الخطأ هو فرصة للتوبة وتعديل السلوك، وليس للتقريع والتوبيخ.

٣- من الدروس التربوية المستفادة لكي ينظر المربي بعين الرحمة لسلوك المخطئ أن يطبق قاعدة: ماذا لو كنت مكانه كيف أحب أن أعامل من قبل الآخرين، وهنا جعل لنا القرآن الكريم ميزاناً في ضبط تصرفاتنا حينما نرى سلوك الآخرين الخاطئ، قال تعالى: (. . كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[٦٨]، يقول السعدي -رحمه الله-: "فكما هداكم بعد ضلالكم، فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئاً فشيئاً، فكذلك غيركم، فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان على مثلها بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه"[٦٩].

---

[٦٥] - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق:محمد رشاد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ،ج٥، ص ١٠١.

[٦٦] - سورة آل عمران، آية ١٣٥-١٣٦.

[٦٧] - عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ١٦٥.

[٦٨] - سورة النساء، آية ٩٤.

[٦٩] - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ، ص ١٩٤.

فينبغي لمن اهتدى أن يتذكر منة الله عليه بالهداية، فلا يغتر بهدايته؛ فيسخر من العصاة والمخالفين؛ بل مع نصحه لهم يرحمهم، ويود لهم الخير، ويتلطف بالخطاب، ويتحلى بالآداب، فهذه سبيل عظيمة لهدايتهم وانتفاعهم، وهذه أخلاق المؤمنين، وهو اقتداء بالنبي الأمين صلى الله عليه وسلم حيث، لما قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: " يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم. فقال: اللهم اهد دوساً، وأت بهم "[٧٠]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان؛ فيهم العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق، ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا "[٧١].

ويقرر العلامة الطاهر بن عاشور هذه القاعدة التربوية في النظر والتعامل مع السلوك الخاطئ من المخطئ إذ يقول: "هذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيره أحوالاً كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذة المعلم التلميذ بسوء إذا لم يقصر في إعمال جهده، وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلبة العلم، فيعتادون التشديد عليهم، وتطلب عثراتهم، وكذلك ولاة الأمور، وكبار الموظفين في معاملة صغار الموظفين، وكذلك الآباء مع أبنائهم إذا بلغت بهم الحماقة أن ينتهروهم على اللعب المعتاد، أو على الضجر من الآلام".[٧٢]

إن تعديل سلوك المخطئ يتطلب الصبر والتلطف، ولكي يضبط المربي سلوكه في تعامله مع أخطاء المترتبين، يحتاج أولاً أن يدرك أن ما هو فيه من خير هو منَّةٌ من الله امتن بها عليه، حيث كان يرتكب من الأخطاء ربما أكثر بكثير مما ينتقده ويزدريه الآن، (. . كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ..)، والأمر الآخر أن يسأل نفسه ماذا لو كنت مكانه كيف أحب أن يعاملني الناس ؟.

"روى الذهبي – رحمه الله – في السير عن عقيل، ومَعْمَر، عن الزهري، حدثني عروة أن المسْوَر بن مخرمة أخبره أنه وفد على معاوية، فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال: يا مسور! ما فعل طعنُك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسن. قال: لا، والله، لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيب عليَّ. قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلا بينت له، فقال: لا أبرأ من الذنب، فهل تعُدُّ لنا يا مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعُدُّ الذنوب، وتترك الإحسان؟ قال: ما تُذكر إلا الذنوب، قال معاوية: فإنا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه؛ فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تُهلك إن لم تُغفر؟ قال: نعم! قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني؛ فوالله ما أَلِي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخيَّر بين أمرين: بين الله وبين غيره، إلا اخترت الله على ما سواه، وإني لعلى دين يُقبَل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات، ويجزى فيه بالذنوب إلا أن يعفو الله عنها. قال: فخصمني. قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلى عليه"[٧٣].

---

[٧٠] ـ احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، (د. ت)، حديث رقم، ٤١٣١.

[٧١] ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج٥، ص١١٩.

[٧٢] ـ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، ج ٤، ص ٢٢٦.

[٧٣] ـ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، ج٣، ص ٣٩١-٣٩٢.

"من هذا الحوار الجميل المؤدب بين صحابيين جليلين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قد كان في نفس كل منهما شيء على الآخر نستنبط أمراً مهماً في التربية ومعالجة الأخطاء لو سرنا عليه في عتاب بعضنا لبعض لاختفت كثير من مفسدات الأخوة وذات البين، ولسلمت القلوب المخلصة من الإحَن والأحقاد والشحناء والأهواء، وهذا الأسلوب التربوي المعني هنا مأخوذ من الحوار السابق؛ وذلك لما ذكر المسور بن مخرمة لمعاوية – رضي الله عنهما – كل ما يعرفه من أخطاء معاوية. قال له معاوية – رضي الله عنه -: فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تُغفَر؟ قال: نعم! فقال معاوية: فما يجعلك برجاء المغفرة أحق مني؛ فوالله ما أَلِي من الإصلاح أكثر مما تلي..."فعندما يمارس الواحد منا هذا الأسلوب التربوي في عتابه للناس ومعالجة أخطائهم فإن الوئام والألفة ستحل محل الفرقة والشحناء والبغضاء، وهذا الأسلوب ينفع مع مختلف طبقات الناس وشرائحهم.

ولو أننا طبقنا هذا الأسلوب المشار إليه آنفاً في معالجة الخطأ، ووضع الناقد نفسه مكان صاحب الخطأ وبحث عن الملابسات التي أحاطت به في خطئه لتطامن الناقد، وعذر صاحب الخطأ إن وجد له عذراً، أو أنه يضع خطأه في حجمه الطبيعي من غير تضخيم وتهويل، وكذلك لو حاسب الناقد نفسه فيما لو صدر منه الخطأ الذي صدر من العالم أو الداعية الفلاني، فهل مؤاخذته لنفسه بنفس القوة التي يوجهها لغيره؟ لأن مثل هذه المحاسبة تعد من أسباب التطامن والإنصاف، وكما قال معاوية للمسور – رضي الله عنهما – عندما عرَّفه ببعض أخطائه قال له: فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم تُغفر؟ قال: نعم!

فكذلك الدعاة وأهل العلم في معالجتهم لأخطاء بعضهم، فلو أن الناقد انتبه لنفسه وما هي عليه من الأخطاء والذنوب لكان في ذلك من التطامن والتواضع مع صاحب الخطأ ما يجعل الناقد يضع الخطأ في حجمه المعقول، ويعامل صاحب الخطأ بالعدل والمحبة والإصلاح بعيداً عن حظوظ النفس والأهواء "[٧٤]

إنها قواعد العدل وموازين الإنصاف التي تقررها التربية الإسلامية في نقد سلوك الآخرين وتوجيه النصح لهم لتعديل سلوكهم الخاطئ، فالإنسان على نفسه بصيره، وهو خصيم نفسه، ومن وفقه الله واتبع منهج التربية الإسلامية في توجيه الناس وتعديل سلوكهم الخاطئ وُفِّقَ للحق والصواب، ونجا من التجاوز والظلم.

المبحث الرابع: العلاقة بين مداخل الخطأ وخطوات تعديل السلوك الخاطئ في التربية الإسلامية.

أولاً: المنهج النبوي في الربط بين تحديد مدخل الخطأ وخطوة تعديل السلوك:

من خلال تتبع المواقف النبوية في تعديل سلوك المخطئ، ومقارنة طريقة النبي صلى الله عليه وسلم مع طريقة وتصرف الصحابة في نفس الموقف نجد كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤصل للأمة منهجاً تربوياً في التعامل مع المخطئ، يركز من خلاله على السبب والمدخل الذي وقع منه الخطأ ويعالجه، وأما المخطئ يترفق به، ويحسن الكلام له، ويلين الجانب معه، ولذا كانت النتائج مبهرة، والاستجابة نحو تعديل السلوك متحققة.

وهنا ومن خلال سبر هذه المنهجية في تعديل السلوك، أضع بين يدي القارئ ثلاث خطوات في تعديل السلوك الخاطئ، من خلال الربط بين الخطأ ومدخله، وهي خطوات تربوية ذات أثر

---

[٧٤] - عبد العزيز الجليل، ضع نفسك مكانه، ١٤٢٤/١٢/٢٣ ه، موقع المسلم، http://www.almoslim.net/node/82253.

فعال، إذا كان المربي لديه قدرة ومهارة ومتقن للمنهجية، فإن التوفيق بإذن الله يكون حليفه في تعديل السلوك غير المرغوب لدى المتربي.

ولذا يجب أن نقرر هنا وقبل البدء في استعراض تطبيقات هذه المنهجية، أن الإنسان لا يقع في الخطأ إلا نتيجة ثلاثة أمور تقع منفردة، وقد تكون مجتمعه، وقد يكون الخطأ عن طريق احدها يستلزم الوقوع في الآخر، وقد يجتمع منهما أمران ويتخلف الآخر، ولكن حتماً لا يقع خطأ سلوكي إلا نتيجة لهذه الأمور الثلاثة منفردة أو مجتمعه وهي على النحو التالي:

١- يقع الخطأ نتيجة غياب المعرفة الصحيحة، أي: الجهل بالعلم وغياب الحكم، أو عدم معرفة النظام، فإن هذا الجهل يكون مدخلاً من مداخل ورود الخطأ على الإنسان، وهذا الجهل قد يكون منه ما يعذر بجهله، ومنه مالا يعذر بجهله، وعلى العموم فإن غياب المعلومة والمعرفة عن الإنسان قد تتسبب في وقوعه في الخطأ.

٢- يقع الخطأ نتيجة حجب العقل – التفكير – فإذا تعطل العقل عن التفكير فإن حصول الخطأ أصبح وارداً، ولذا رفع الإسلام الحرج عن المجنون والصغير لأنهما لا يعقلان، ولذا فإن من عطل عقله عن التفكير بمؤثر أو سواه فإن ورود الخطأ منه كبيراً.

٣- يقع الخطأ نتيجة غياب أو فقد المهارة، فإن المهارة دليل الإتقان للعمل، وفقدانها طريق من طرق الجهل بمتطلبات العمل، ومن فقد المهارة نحو تخصص ما، فإن ورود الخطأ منه كبيراً، لذا جعلت الشريعة الإسلامية بأن من تطبب وهو لا يعرف الطب ثم اتلف عضواً فهو ضامن، لأنه مارس عملاً دون مهارة، ولذا فإن غياب المهارة مدخلاً وطريقاً من طرق وقوع الإنسان في الخطأ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن "[٧٥].

وفي ذلك من الفوائد أن على طالب العلم أن يحذر أن يتكلم فيما لا يحسن فهذا حرام عليه؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب. وذكر الذهبي: " أن أهل المغرب كانوا لا يأخذون عمن لا يحسن فنه؛ ولذا ترى بعض الناس يتعالم في كل شيء، مع أنه عَرِيّ جاهل، فهذا أجرم في حق نفسه، وأجرم في حق أمته؛ ولهذا كان من منهج أهل العلم أن بعضهم يقصر، أو يكون جهده مركزا على علم أكثر فيتميز فيه، فإذا سُئل عن علم آخر لا يتقنه يتورع، بل يعترف بتقصيره " [٧٦].

والخلاصة أن هذه ثلاثة مداخل لورود وحصول الخطأ من الإنسان، يجب على المربي معرفتها، وأن يكون لديه القدرة والمهارة لتشخيص الخطأ ومعرفة مدخله، فلا يصح ولايجدي أن يكون سبب الخطأ الجهل وغياب المعلومات والمعارف مثلاً، والمربي يستخدم وسائل وأساليب في المعالجة تتناسب مع نقص وفقد المهارات، فإن المعالجة ستكون عقيمة، والنتائج غير مجدية، والسلوك الخاطئ لن يتغير.

ثانياً: الأمثلة التطبيقية لخطوات تعديل السلوك في التربية الإسلامية وفق مداخل ورود الخطأ:

١- المثال التطبيقي الأول (مدخل نقص المعارف والمعلومات):

---

[٧٥] - سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط١، ٢٠٠٦م، كتاب الديات، حديث رقم ٣٩٧٣.

[٧٦] - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق : عبدالرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ج٣، ص ١٤٣.

"عن أَنَسُ بْنُ مَالِك، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ، مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ "، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: " إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ، لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ "، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ "[٧٧].

وفي رواية أخرى: " عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَذْكُرُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَبَالَ فِيهَا، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ» فَلَمَّا فَرَغَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَنُوبٍ فَصُبَّ عَلَى بَوْلِهِ "[٧٨]

يقول ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الحديث: " أعرابي يعني: بدوي، والبدوي في الغالب لا يعرف أحكام الشرع لأنه يعيش في البادية في إبله أو في غنمه وليس له علم بشريعة الله كما قال الله تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [٧٩]، يعني: أقرب ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ؛ لأنهم في باديتهم بعيدون عن الناس وعن العلم والشرع ".[٨٠]

وفي هذا المثال التطبيقي ما يهمنا هنا هو تشخيص النبي صلى الله عليه وسلم لحالة الأعرابي، فهو قادم من البادية، لا يعرف أحكام المساجد، ويجهل العلم الشرعي، وهذا التشخيص بحال الأعرابي، جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحدد طريقة المعالجة المناسبة، فالجهل علاجه العلم بالحكم، فكانت المعالجة بتعليم الأعرابي وتزويده بالمعارف والمعلومات المناسبة، فالربط بين الخطأ السلوكي، وسبب وقوعه، أو مدخل وروده على المخطئ، حقق نجاحاً في المعالجة، فلم يرد أبداً أن هذا الأعرابي كرر السلوك الخاطئ مرة أخرى في حياته، بل تقبل المعالجة، واستوعب التوجيهات.

وهنا نلاحظ أن الأعرابي كان سبب وقوعه في هذا الخطأ السلوكي هو عدم معرفته بالحكم الشرعي، فهو يمارس هذا السلوك يومياً بجوار خيمته، وفي أي مكان في البادية، فهو لا يدرك الفرق بين قطعة تراب داخل مسجد رسول الله، وقطعة تراب بحوار خيمته بالبادية، فالأمران عنده يستويان، وذلك لجهلة بالمعلومات والمعارف المتعلقة بأحكام وقدسية وطهارة المساجد، ولذا كان إنكار الصحابة على هذا الفعل هو معرفتهم بالحكم، فمعلوماتهم ومعارفهم تحتوي على أحكام وقدسية وطهارة المساجد، فكان الإنكار قائماً على العلم، والخطأ واقعاً عن جهل بالعلم وعدم معرفة بالحكم الشرعي، والفرق يكمن في التشخيص والمعالجة، فمعالجة الصحابة ركزت على المتسبب في الفعل وهو الأعرابي، وتشخيص النبي صلى الله عليه وسلم للمشكلة وحالة الأعرابي ركزت على مدخل ورود الخطأ السلوكي والسبب الذي أوقعه بالخطأ، ولذا كان التباين في التصرف وردة الفعل تجاه سلوك الأعرابي.

---

[٧٧] - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٤١٤ه، ج ٢، حديث رقم ٢٨٥.

[٧٨] - مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦م، ج٤، بترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي، حديث رقم ٤٣٣.

[٧٩] - سورة التوبة، آية ٩٧.

[٨٠] - محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ، ج٣، ص ٥٧٩.

ولذا يجب أن يكون تركيز المربين على مدخل ورود الخطأ على المخطئ، والسبب الذي أوقعه في الخطأ، وليس على المخطئ، ففي هذا المقام لم يكن الأعرابي بحاجة إلى تعليم مهارات ولم يكن بحاجة إلى تغيير قناعات لخلل في التفكير، ولكن كان بحاجة إلى المعارف والمعلومات التي تبين له الحكم الشرعي، وهذا الذي كان من النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة هذا الخطأ السلوكي من الأعرابي، وبهذا يتأكد لنا في هذا المثال التطبيقي أن مدخل ورود الخطأ السلوكي هو أحد المداخل الثلاثة التي أوردتها سابقاً، والتي من خلالها قررت أنه لا يقع الخطأ السلوكي إلا نتيجة لأحد هذه الأمور الثلاثة، ومعرفتها يساعد المربي على تشخيص حالة المخطئ، وتحديد مدخل ورود الخطأ، وعليه تُحدد طريقة المعالجة.

ولكي نختم هذا المثال التطبيقي يجب أن نقرر أن تحديد مدخل ورود الخطأ على المخطئ واختيار طريقة المعالجة المناسبة، لم يكن تصرفاً عابراً في موقف معين، بل كان منهجية علمية يربي صحابته صلى الله عليه وسلم عليها، ويعلمهم إياها، " عن أبي بشر جعفر بن أبي إياس قال: سمعت عباد بن شرحبيل - رجلا من بني غبر - قال: أصابنا عام مخمصة فأتيت المدينة فأتيت حائطاً من حيطانها فأخذت سنبلا ففركته وأكلته وجعلته في كسائي، فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال للرجل: ما أطعمته إذ كان جائعا أو ساغبا، ولا علمته إذ كان جاهلا، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فرد إليه ثوبه، وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق".[٨١]

والشاهد هنا " ولا علمته إذ كان جاهلاً "، فالجاهل يحتاج التعليم، وليس معالجة الأفكار، أو تعلم المهارات، والخطأ يغتفر له، حتى يعرف الحكم، ويزود بالمعرفة.

٢- المثال التطبيقي الثاني (مدخل غياب التفكير السليم وتأثر القناعات):

في هذا المثال التطبيقي نحاول أن نقرر أن الخطأ السلوكي الذي يقع نتيجة غياب العقل تحت أي ظرف من الظروف، فإن المعالجة هنا تتطلب إعادة العقل وتنبيهه إلى التفكير السليم، وليس العبرة بما حدث من خطأ بقدر ما تكون العبرة في صحوة العقل وعودته إلى وضعه الطبيعي وقدرته على التفكير السليم.

" عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ".[٨٢]

"فرقٌ بين موقف الرسول وأساليبه وخطواته مع الشاب وبين موقف من كان في حضرة هذا الموقف الذين اكتفوا بالزجر ليس إلا !. .وهذا يبين فقه الرسول بحال المخطئ فقد أوجز وأبلغ في وقت يسير، حيث لم يتكلف ذكر الأدلة الموجودة في القرآن، ولم يذكر العقوبة المترتبة على ذلك،

---

[٨١] - محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ، ج١، حديث رقم ٤٥٣.

[٨٢] - محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ، ج١، حديث رقم ٣٦٩.

ولم يحصل التوبيخ أو التحذير، بل عالج ذلك بكلمات يسيرات بأساليب راقية جعلت هذا الشاب يخرج من عند الرسول والزنا أبغض شيء لديه! "[٨٣].

من الأمور التي تحجب العقل عن التفكير الشهوة إذا تحركت عند الإنسان، فإنه تحجب العقل عن التفكير وتقدير عواقب الأمور المترتبة على فعله، فيبقى الإنسان أسيرَ الشهوة، لا يفكر إلا في إشباع شهوته ونزوته، وحينما تنقضي الشهوة، يندم وقد يبكي ويتألم، ولكن قد يكون بعد فوات الأوان، ولذا قيل: الإنسان أسير شهواته، إذا أعطى نفسه هواها.

"إن الشهوة الجنسية غريزة طبيعية في الإنسان، وفطرة فطر الله الناس عليها، وقد اعترف الإسلام بهذه الغريزة واحترمها، لذلك شرع الله الزواج بين الجنسين طريقا لتلبية داعي هذه الغريزة، وجعله سنة من سنن المرسلين، وسمى العقد الذي بين الزوجين ميثاقا غليظا إشعارا بعظمته وأهميته، حيث تعتبر هذه الغريزة من أقوى الغرائز لدى الإنسان، وأشدها خطرا عليه، ولذلك جعلها الله أول الشهوات التي زينت للناس، قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)[٨٤]، فمتى أطلق العنان لهذه الغريزة، وفتح لها الباب على مصراعيه، في غيبة من الوازع الديني والأخلاقي، فإنها لا تبقي ولا تذر، وتهلك الحال والمال، ويؤدي إهمالها إلى فساد المجتمع وضياع النسل والأنساب، وخراب الأمم والأفراد "[٨٥].

"فالعقل يدعو إلى الرشاد و الفضائل، وهو القائد و المتحكم في البدن عن طريق الفكر و النظر، و اتخاذ القرارات و توجيه الأعضاء و الجوارح، ومن القواعد المهمة في السيطرة عليه مراقبة الخواطر و الهواجس وتوجيهها إلى المسار الصحيح، كما قال الحكماء في قواعد البرمجة الذ اتية: راقب أفكارك لأنها ستصبح أفعالا، و راقب أفعالك لأنها ستصبح عادات، و راقب عاداتك لأنها ستصبح طباعا، و راقب طباعك لأنها ستحدد مصيرك، فالشهوات تجر إلى الغي و الرذائل، و كل شهوة لها طريق محرم لإشباعها و آخر مباح، مثل شهوة البطن و الفرج و النظر و السمع و اللسان و غيرها، فمن سلك الطريق المحرم أثم و من سلك الطريق المباح سلم.

و الشهوات المباحة هي أساس الاستقرار واستمرار الحياة، مثل شهوة الزواج و الأكل و الشرب من الطيبات، أما الشهوات المحرمة فهي سبب الاضطراب و الخراب مثل شهوة الزنا و شرب المسكرات و أكل الربا و نحوها.

والصراع مستمر بين العقول و الشهوات، فمن حكم العقل كان شبيها بالملائكة ومن حكم الشهوة كان شبيها بالدواب و الأنعام أو دونها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: كما قال أبو بكر عبد العزيز - من أصحابنا - وغيره: خُلقَ للملائكة عقولٌ بلا شهوة، وخُلق للبهائم شهوة بلا

---

[٨٣] - عبد الله بن سعيد آل يعن الله، حِينَمَا زُجِرَ مُرِيدُ الزِنَا !، موقع صيد الفوائد، ٢٢ / ١٢ / ١٤٢٩ه، http://www.saaid.net/Doat/abdullah/79.htm.

[٨٤] - سورة آل عمران، آية ١٤.

[٨٥] - موقع طريق الإسلام، عندما يسجد العقل للشهوة، ٢٠٠١م، قضايا الشباب، http://ar.islamway.net/article/133/printable.

عقل، وخُلق للإنسان عقل وشهوة، فمَن غلب عقلُه شهوتَه: فهو خير من الملائكة، ومَن غلبت شهوتُه عقلَه: فالبهائم خير منه "[٨٦].

وبناء على ما تقدم من تقرير تأثير الشهوة على العقل وتأثيرها على سلامة التفكير، نحلل المنهج النبوي في معالجته لتصرف الشاب الذي يستأذن في الزنا، حيث إن تصرف الصحابة في الموقف باتجاههم إلى من صدر منه الخطأ، لأنه مخالف للآداب، بل منتهى السوء والصفاقة وانعدام الحياء أن يُستأذن في فاحشة في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه، الأمر الذي استثار الصحابة فصدرة منهم ردة فعل عنيفة تجاه هذا الشاب.

ولكن المربي العظيم صلى الله عليه وسلم يدرك أثر الشهوة على عقل الشاب، فعقله محجوب تحت ضغط الشهوة، ولذا كان تشخيص النبي صلى الله عليه وسلم لحالة الشاب الذي يبحث عن تفريغها دقيقاً، فهذا الشاب كان يعرف حرمة الزنا، ولذا جاء يطلب الإذن ممن لديه التشريع، وبذا يتبين أن معلومات هذا الشاب جيدة، ولذا لم يرد في هذا المقام أن قرأ النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الشاب آيات الزنا من سورة النور، ولم يعظه موعظة وجلت منها القلوب، ليس لقصور في أسلوب الموعظة وعدم تأثيرها، ولكن لأن عقله لم يكن جاهزاً لاستقبال المعرفة، ولأنه لم يكن بحاجة إليها، ولذا لم يسرد عليه المربي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف الآيات والأحاديث، ولم يبن له حكم حرمة الزنا وأنه من كبائر الذنوب، بل عرف مدخل الخطأ وهو خلل في العقل من تأثير الشهوة، واضطراب في التفكير، ولذا اكتفى صلى الله عليه وسلم في هذا المقام بتحريك عقل الشاب وتنبيه تفكيره من سيطرة الشهوة، "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِم "، إن السؤال يحرك التفكير، ويجري الشاب المقارنة بين ما يطلبه وبين ما يقال له من محارمه، فالذي لا يرضاه لمحارمه من أم وبنت وأخت وغيرها، فالعقل والتفكير السليم يقول أن الناس لا يرضونه لمحارمهم، ولم يتجاوز الأمر أن نبه النبي صلى الله عليه وسلم عقل هذا الشاب فقط، ثم دعى له بعد تغيير قناعاته التي لعبت بها الشهوة، فكانت أجمل النتائج " فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ".

وهنا في ختام هذا المثال التطبيقي لمناسبة مدخل ورود الخطأ السلوكي لأسلوب المعالجة المناسب - وهو تنبيه العقل وإزالة القناعات الخاطئة وإحلال القناعات الصحيحة بدلاً منها - نؤكد على أن لكل خطأ سلوكي مدخل ورود على المخطئ يجعله يقع في الخطأ، ومعرفة السبب وتشخيصه بدقة يجعل المربي يختار أسلوب وطريقة وخطوات المعالجة المناسبة، لينجح في المعالجة، وتكون النتائج مؤثرة وفعالة، ويتم قبول تعديل السلوك الخاطئ، واستبداله بالسلوك الصحيح.

٣- المثال التطبيقي الثالث (مدخل فقد المهارة):

"عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي يسأله، فقال: "لك في بيتك شيء؟ قال: بلى، حِلْسٌ نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء، قال: ائتني بهما، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله بيده، ثم قال: من يشتري هذين ؟ فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: من يزيد على درهم ؟ (مرتين أو ثلاثًا)، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قَدومًا، فأتني به، ففعل. فأخذه رسول الله، فشدَّ فيه عوداً بيده، وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسةَ عشر يومًا، فجعل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال: اشتر ببعضها طعامًا وببعضها

---

[٨٦] - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج١٥، ص ٤٢٨-٤٢٩.

ثوبًا، ثم قال: هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة. إن المسألة لا تصلح إلا لِذِي فقرٍ مُدْقِع، أو لذي غُرْمٍ مُفْظِع، أو دمٍ موجِع". "[٨٧]

"..يتجلى أمامنا موقف تعليمي رائع، فالرسول كان بإمكانه أن يمنح السائل شيئًا من ماله، أو يندب الصحابة إلى إعطائه ما يسد حاجته ذلك اليوم أو بضعة أيام، غير أنه أراد أن يلقن ذلك السائل القادر على الكسب والحاضرين جميعًا درسًا عمليًا في الاعتماد على النفس، وذم المسألة وبيان عواقبها الوخيمة على الإنسان في الدنيا والآخرة.

ولقد تولى رسول الله بنفسه بيع ممتلكات السائل الزهيدة، في مزاد علني، ثم أمره أن يشتري بدرهم طعامًا لأهله وبالآخر قدومًا، وقد حرص عليه الصلاة والسلام على أن يشد في القدوم عودًا بيده الشريفة، إظهارًا لأهمية الموقف وجدية الأمر وشرف العمل، ثم أمره أن يحتطب ويتكسب من بيع الحطب"[٨٨].

إنه موقفٌ عمليٌّ تربويٌّ عظيمٌ. . يُعَلّمُ الإنسان كيف لا يستسلم لمشكلاته ويبذل جهده في حلها ويكون إيجابياً، " فالرسولُ صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لم يسارع - كما نفعل نحن اليوم - رأفةً وشفقةً بهذا السائل ويعطيه الصدقةَ ويدَعُه ينصرف، ولكنه صلى الله عليه وسلم أحسَّ فيه القدرة على الكسب والعمل، فأراد أن يغيِّرَ وجهتَه عن هذه العادة المَهينة التي تُفقد الإنسان كرامتَه وهيبتَه وحياءَه إلى كسبٍ طيب حلال؛ فعلَّمه كيف يعمل ويقتات، ويُغْني نفسَه وذويه عن مسألة الناس ".[٨٩]

ويمكن أن نقف من خلال تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع السائل في الحديث السابق عدة وقفات تتعلق بالتربية المهنية، والكسب الحلال، وتعليم المهارة في العمل وذلك على النحو التالي:

١- حوَّل الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل من سائل إلى منتج.

٢- أوجد رأس مال المشروع من السائل نفسه - باع شيئا من ممتلكات بيته - حتى يحافظ الرجل على رأس مال المشروع.

٣- هناك مساعدة خفية للرجل حيث بيع الحلس والقعب بأكثر من سعره المعتاد، " لذلك تردد الصحابة أن يشتروه بدرهمين".

٤- راعى الرسول صلى الله عليه وسلم الاحتياجات العاجلة للرجل وهي الطعام والشراب " اشتر بأحدهما طعاما وانبذه إلى أهلك ".

٥ - عاونه في إنشاء المشروع ليشعره بالاهتمام بالأمر" فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده".

٦ - اختار صلى الله عليه وسلم مشروعا مناسبا لإمكانيات الرجل البدنية والعقلية "اذهب فاحتطب وبع".

---

[٨٧] - محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ه، حديث رقم ١٦٤١.

[٨٨] - ناصر أحمد سنه، مشاهد من الهداية النبوية وريادتها في استخدام التقنيات التربوية، http://quran-m.com/quran/printarticles/2586.

[٨٩] - أحمد أبو زيد، الإسلام وظاهرة التسول، مجلة التوحيد، عدد صفر ١٤٠٩ هـ، صفحة ٣٦.

٧ ـ أعطي الرسول صلى الله عليه وسلم الفترة الزمنية الكافية لتقييم المشروع ولا أرينَّك خمسة عشرة يوماً.

٨ ـ المتابعة للمشروع "فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما.."[٩٠]

إن القراءة التربوية لهذا الحديث في معالجة الموقف، والتعامل مع السائل المخطئ في حق نفسه أولاً، وحق المجتمع ثانياً بما يكسبه من مال وهو قادر على الكسب، فالمعالجة السطحية لهذا الموقف لا تجد نفعاً، فهي لا تتجاوز أمرين، إما إسداء النصيحة لهذا الرجل ووعظه بأن يترك التسول، أو إعطائه شيءٌ من المال يكفيه ليوم، أو عدة أيام، وكلا المعالجتين لن تحقق الهدف، ولن تحول الرجل من سائل إلى منتج.

لكن التشخيص السليم من الرسول صلى الله عليه وسلم لحال السائل، ومعرفة سبب وقوعه في المسألة، ليست غياباً للمعارف والمعلومات بعدم جواز المسألة للقادر على الكسب، وليست غياباً للقناعات، وإنما كان السبب هو انعدام المهارة لدى السائل، وعدم توظيفها التوظيف الصحيح، فالرجل سليم وقادر على الكسب، ولكن ينقصه مهارة الكسب، وهنا كان مكمن ورود الخطأ، وشعوره بالعجز عن الكسب، ولذا لم يعظه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل بادر بأسلوب عملي لتعليمه المهارة، ودلالته على نقاط القوة والتميز عنده، ويفتح له باب العمل، ويحوله من رجل متسول عاطل، إلى رجل منتج، قادر على الكسب الحلال.

إنها القدرة والدرس الذي يجب أن يسلكه كل مرب مع المخطئ، بتشخيص الحالة بشكل دقيق قبل المبادرة بالعلاج، فمعرفة مدخل الخطأ وورود على المخطئ هو الطريق الصحيح لتقديم العلاج الصحيح والناجع، فهل كان من المناسب في هذا الموقف أن يكون العلاج بالموعظة والنصيحة وتقديم المعارف والمعلومات ؟، وهل كان مناسباً أن يركز في المعالجة على القناعات والتفكير عند السائل ؟، فإن الاهتمام بهذين المدخلين ومشكلة الرجل في نقص المهارة لن يحقق نجاحاً، ولن يغير في واقعه شيئاً، بل ربما يؤدي الوعظ والنصيحة والتأنيب إلى زيادة شعوره بالعجز والفشل، والصواب هو ما كان من تعليمه المهارة، وتزويده بالأدوات المساعدة وتشجيعه ومتابعته حتى النجاح، وسر النجاح في التحول الكبير في شخصية هذا الرجل – السائل – هو مناسبة المعالجة لمدخل ورود الخطأ وتكرس شعوره بالعجز عن العمل، ولذا كانت النتائج إيجابية والمعالجة مميزة.

ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في تزويد المخطئ، أو العاجز بالمهارة العملية بدلاً من الاكتفاء بالتعليم النظري، لا يتوقف على هذه الحالة، بل في مواقف كثيرة حينما يشعر صلى الله عليه وسلم بحاجة الإنسان إلى تعليم المهارة يبادر بذلك مباشرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: " أن رسول الله مر بغلام يسلخ شاة، فقال له رسول الله: "تنح حتى أريك، فأدخل رسول الله يديه بين الجلد واللحم، فدحس بها حتى توارت إلى الإبط، وقال: يا غلام هكذا فاسلخ، ثم مضى وصلى للناس ولم يتوضأ"[٩١].

---

[٩٠] ـ أمير محمد بسام النجار، البطالة قنبلة موقوتة يبطل مفعولها الإسلام، أرشيف الاقتصاد والأعمال، موقع ستار تايمز، ٢٠١١/٦/١م، http://www.startimes.com..

[٩١] ـ محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ه، حديث رقم ١٨٥.

والدحس: هو إدخال اليد بين جلد الشاة ولحمها. .إن هذا الحديث الشريف إلى جانب كونه برهاناً على اعتماد الرسول على التوضيح العملي في تعليم أصحابه رضي الله عنهم المسائل التي تتطلب ذلك، فإنه يمثل أيضًا لونًا من ألوان "التدريب المهني" لهذا الشاب المسلم ومن شارك في ذلك الموقف التعليمي، ويتضمن توجيهًا نبويًا للأمة المسلمة في كل العصور للعناية بتدريب أبنائها على المهن التي تتطلبها حاجات المجتمع المسلم "[٩٢].

ثالثاً: ملخص خطوات تعديل السلوك الخاطئ وفق مداخل الخطأ:

بعد استعراض الأمثلة التطبيقية لخطوات تعديل السلوك في التربية الإسلامية وفق مداخل ورود الخطأ، نورد هنا ملخصاً لخطوات تعديل السلوك الخاطئ لتتضح لكل مربي هذه الخطوات وفق مداخل الخطأ على النحو التالي:

الخطوة الأولى: تشخيص السلوك الخطأ، والتركيز على مورد ومدخل الخطأ وليس على المخطئ، فالمخطئ بشر وقوع الخطأ منه وارداً بحسب طبيعته البشرية، وهذه الخطوة تجعل المربي أكثر تركيزاً وأبعد عن الغضب من المخطئ وهي خطوة تساعده على تحديد مدخل الخطأ الذي ورد منه.

الخطوة الثانية: تحديد سبب السلوك الخطأ، هل وقع الخطأ بسبب نقص المعارف والمعلومات ؟، أم وقع نتيجة حجب التفكير وتأثر القناعات ؟، أم وقع بسبب نقص المهارات ؟، حيث إن النجاح في تحديد مدخل الخطأ ينقلنا إلى الخطوة الثالثة، وهي خطوة تطبيق المعالجة بحسب نوع المدخل.

الخطوة الثالثة: تطبيق المعالجة بحسب مدخل ورود الخطأ وذلك وفق التالي:

م	مدخل ورود الخطأ السلوكي	طريقة المعالجة الناجحة	النتائج المتوقعة للمعالجة
١	نقص المعارف والمعلومات (الجهل بالشيء)	التزويد بالمعارف والمعلومات (العلم)	• تقبل التوجيهات • اكتساب العلم • تعديل السلوك • اختفاء الخطأ السلوكي بشكل نهائي
٢	حجب العقل عن التفكير السليم (تأثر القناعات)	تنبه العقل للتفكير السليم (إزالة القناعات الخاطئة، واحلال القناعات البديلة السليمة)	• استثارة التفكير • عودة العقل • إحلال القناعات البديلة • تعديل السلوك • اختفاء الخطأ السلوكي بشكل نهائي
٣	غياب المهارات	التزويد بالمهارات (التدريب على المهارات)	• تعلم المهارة • بدء تطبيق المهارة • حصد النتائج والشعور بالذات • تعديل السلوك • اختفاء الخطأ السلوكي بشكل نهائي

[٩٢] - ناصر أحمد سنه، مشاهد من الهداية النبوية وريادتها في استخدام التقنيات التربوية ،مرجع سابق.

الخطوة الرابعة: تعديل السلوك الخاطئ إلى سلوك صحيح، والتخلص من الخطأ في ضوء المعالجة المستخدمة.

وبذلك يتم غالباً اختفاء السلوك الخاطئ من حياة المخطئ بشكل نهائي، ويمكن ملاحظة ذلك في جميع الأمثلة التطبيقية التي وردت، حيث لم يعاود الأعرابي الخطأ، والشاب لم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء، والسائل تغير حاله ولم يمارس المسألة بعد ذلك.

نتائج وتوصيات البحث:

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

١- قدمت التربية الإسلامية من خلال التربية النبوية في التعامل مع المخطئ منهجاً تربوياً فريداً في تعديل سلوك المخطئ،، يركز من خلاله على السبب والمدخل الذي وقع منه الخطأ ويعالجه، وأما المخطئ يترفق به، ويحسن الكلام له، ويلين الجانب معه، ولذا كانت النتائج مبهرة، والاستجابة نحو تعديل السلوك متحققة، وهذا المنهج يفرق في المعالجة بناء على مدخل ورود الخطأ معرفياً، أو إقناعياً، أو مهارياً.

٢- الخطأ السلوكي ناتج إما عن جهل بالمعرفة والمعلومة، أو قناعات خاطئة تكونت نتيجة خلل في التفكير، أو فقد للمهارة، وهنا كناتج لواحدة أو أكثر من هذه الأمور الثلاثة يقع الإنسان في الخطأ، والقدرة على التشخيص هي النقطة الأبرز التي يجب أن يقوم بها المربي قبل الشروع في معالجة الخطأ الذي يقع من المخطئ، فتشخيص الحالة بشكل دقيق قبل المبادرة بالعلاج، ومعرفة مدخل الخطأ وروده على المخطئ هو الطريق الصحيح لتقديم العلاج الصحيح والناجع.

٣- جاءت التربية الإسلامية بجملة من التدابير الوقائية لحماية وضبط سلوك المسلم من الانحراف، تعمل بشكل وقائي لحماية السلوك من الوقوع في الخطاء، وتحافظ على فطرته من الانحراف، حيث وضعت التربية الإسلامية للوالدين نظرية متكاملة في تربية الطفل ووقاية سلوكه من الانحراف، تمثلت في البناء الصحيح للأسرة المسلمة، من حيث الإرشادات الخاصة بحسن تكوين الأسرة وسلامة بنائها، وتحديد مسؤولياتها، لينعكس على الأبناء بسياجٍ واقٍ لحماية سلوكهم من الانحراف، وضبطه من الوقوع في الخطأ.

٤- قررت التربية الإسلامية حتمية الخطأ وأنه صفة في الجبلة البشرية إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، كان من انعكاسات هذه القاعدة وأبرز نتائجها، هي الرفق بالمخطئ، والتركيز على الخطأ السلوكي والعمل على تعديله، وأنه فرصة لتوبة الإنسان ورجوعه إلى الصواب، وأن يدرك المربي أنه ليس بمنأى عن الخطأ ولذا النظرة للمخطئ بعين الرحمة والشفقة لا السخط والشماتة والازدراء.

ويرى الباحث ضرورة التوصية بمجموعة من التوصيات لتحقق هذه الأبحاث الدور المطلوب منها، وليصبح لها واقع عملي في معالجة مشكلات المجتمع:

١- على المؤسسات التربوية بالجامعات إبراز النظرية التربوية الإسلامية للمربين، وإبراز معالمها ومنهجيتها في تقديم الحلول التي تعترض التربية، ومن أبرزها المنهج التربوي في التعامل مع الانحرافات السلوكية التي تصدر من المخطئ، وتكون ناشئة من تصورات ومفاهيم وعجز في المهارات، وعدم معرفة المربي بهذه النظرية وتطبيقاتها يوقعه في اجتهادات في معالجة الخطأ والانحرافات السلوكية قد لا تؤدي إلى النتائج المرجوة، ولا مخرج للبشرية إلا بتقديم النظرية التربوية الإسلامية المستنبطة من القرآن والسنة كبديل للمناهج المعاصرة.

٢- على المربين دراسة أسلوب النبي ومنهجه في تعديل السلوك الخاطئ عن طريق مراكز البحث، والدراسات العلمية، وتقديم هذا الجانب العظيم من سيرة وأحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلم، حيث ركزت الدراسات على الجوانب الحربية من حياته، ولم تكن على الوجه المطلوب في بيان منهجه التربوي والاجتماعي في معاملة الإنسان وتربيته.

٣- أن تصمم حقائب تدريبية تركز على اكساب المهارات للجيل في مختلف المجالات، حتى لا يكون نقص المهارة سبباً في الوقوع في الأخطاء، وأن تهتم المؤسسات التربوية بإكساب المهارة جنباً إلى جنب مع تقديم المعرفة، فإن أساليب التعليم المعاصرة تقدم المعرفة ولا تكسب المهارة، فيتخرج المتعلم لا يحمل من المهارات شيء وهنا يمكن أن يقع في جملة من الأخطاء، بل ربما أصبح صيداً سهلاً لمن يستغله ويوجهه.

تم بحمد وتوفيق الله عليه التكلان ومنه العون والقبول، ،،.

مراجع البحث:

١. القرآن الكريم.
٢. أحمد أبو زيد، الإسلام وظاهرة التسول، مجلة التوحيد، عدد صفر ١٤٠٩ هـ.
٣. أحمد بن ضيف الله عنبر الكناني: دور الأسرة في وقاية الأبناء من الانحرافات السلوكية من منظور التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٩م.
٤. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
٥. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.
٦. احمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
٧. أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، دار أحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ .
٨. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
٩. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة ١١، ١٩٩٩م.
١٠. الإدارة العامة للتوجيه والإرشاد بوزارة التربية والتعليم، دليل التربويين لرعاية السلوك وتقويمه، الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١١. أسماء مصطفى السحيمى: الاتجاه المعرفي السلوكي في خدمة الفرد وتعديل أنماط السلوك غير السوي لدى طالبات المدارس الثانوية الفنية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم، ٢٠٠٣م.
١٢. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٤٢٠ه.
١٣. حامد عبد السلام زهران، قاموس علم النفس، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٧م.
١٤. حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
١٥. حسين، أحمد ضياء الدين. أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.
١٦. حمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، كتاب العلل الصغير، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٥.
١٧. حمد عبد الغني حسن هلال، مهارات إدارة السلوك الإنساني، متطلبات التحديث المستمر للسلوك، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٨. خليل بن عبد الله الحدري، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، رسالة ماجستير منشورة.
١٩. سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٠. سليمان بن قاسم العيد، سبل وقاية الأولاد من الانحراف من منظور إسلامي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، بحث منشور.
٢١. صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
٢٢. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٤م .
٢٣. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٤. عبد الله بن محمد عبيد البغدادي ابن أبي الدنيا،محاسبة النفس والإزراء عليها،دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٦هـ
٢٥. عدنان أحمد الفسفوس، الدليل الإرشادي لمواجهة السلوك العدواني لدى طلبة المدارس، المكتبة الإلكترونية، أطفال الخليج، ط١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م.
٢٦. عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢ه -٢٠٠٢م.
٢٧. فواز مبيرك حماد الصعيدي: الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين (تصور مقترح)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٩م.
٢٨. المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٩. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٣٠. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.
٣١. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.
٣٢. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٣. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٣٤. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
٣٥. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٤١٤ه .
٣٦. محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، مدار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.
٣٧. محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
٣٨. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، لبنان، بيروت، م ١٩٩٨.
٣٩. محمد شمس الحق العظيم آبادي،عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥ه.
٤٠. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ٢٠٠١م .
٤١. محمد عودة محمد، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار القلم، الكويت، ١٩٨٦م.
٤٢. محمد محمود مصطفى: (فعالية برنامج التدخل المهني لطريقة خدمة الجماعة باستخدام نموذج تفاعل العلاج الجماعي المعرفي السلوكي والمساهمة في تعديل السلوك المنحرف) بحث بمجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، العدد العاشر، إبريل ٢٠٠١م.
٤٣. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ .

٤٤. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد للبخاري، مكتبة الدليل، ١٤١٤هـ، .
٤٥. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي .
٤٦. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٧. نبيل محمد توفيق السمالوطي: الإسلام وقضايا النفس الحديث، دار الشروق جدة، ط١، ١٩٨٠م.
٤٨. هشام سيد عبد المجيد: (مقارنة فعالية كل من التعديل السلوكي المعرفي، والتعديل السلوكي في خدمة الفرد في التقليل من حدة المشكلات السلوكية للأحداث الجانحين) بحث بالمؤتمر العلمي الرابع عشر، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، المجلد الرابع، ٢٠٠١م.
٤٩. وصال حمقه، جواهر العقول، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١١م.
٥٠. يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الخير، ١٤١٦هـ، تحقيق وهبة الزحيلي.

المراجع الأجنبية:

51. Barrera , Manual Jr and others: **Early Elementary school Intervention to redact problem. A randomized Trail with his panic and non Hispanic children** (Netherlands: prevention science , kluwer Academic publishers , vol3(2)Jun 2002)p:83-94.
52. Bohnet Amym and others: **Emotional competence and Aggressive Behavior In school-Age children** (Netherlands: Journal of Abnormal child psychology , kluwer Academic publishers , vol31(1) Feb. 2003) p:79-91.

المواقع الإلكترونية:

٥٣. أمير محمد بسام النجار، البطالة قنبلة موقوتة يبطل مفعولها الإسلام، أرشيف الاقتصاد والأعمال، موقع ستار تايمز، ٢٠١١/٦/١م، http://www.startimes.com.
٥٤. خالد منصور الدريس، نقد وتقدير القائل، مقال في شبكة صيد الفوائد، ص١، **http://www.saaid.net/aldawah/500.htm?print_it=1 .**
٥٥. سلمان بن فهد العودة، متابعات وحوارات، موقع سلمان العودة، **http://www.islamtoday.net/salman/artshow-78-136532.htm .**
٥٦. عبد العزيز الجليل، ضع نفسك مكانه، ١٤٢٤ ه،موقع المسلم، **http://www.almoslim.net/node/82253.**
٥٧. عبد الله بن سعيد آل يعن الله، حِينَمَا زُجِرَ مُرِيدُ الزِنَا !، موقع صيد الفوائد، ٢٢ / ١٢ / ١٤٢٩ه، **http://www.saaid.net/Doat/abdullah/79.htm.**
٥٨. **عزيزة عبدالعظيم عباس**، انحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة، موقع الألوكة، رابط **الموضوع:/http://www.alukah.net/publications_competitions ، بتصرف**
٥٩. موقع طريق الإسلام، عندما يسجد العقل للشهوة، ٢٠٠١م، قضايا الشباب، **http://ar.islamway.net/article/133/printable.**
٦٠. ناصر أحمد سنه، مشاهد من الهداية النبوية وريادتها في استخدام التقنيات التربوية، http://quran-m.com/quran/printarticles